مارغريت واي

كالسحر



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٢٣٧٨٦٤١٨

ك: سحر ٢٢

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

WIND RIVER



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

كالسحر ٢٢

١ - رحلة في الصحراء. مارك وكرينوود والفتاة بيري يضيعون في رمال شاسعة، وفجأة يظهر فولكنر لانقاذهم: رجل وسيم ازرق العينين، وفيه سحر يأسر بيري.

من فوق التل الرملي، يستطيع فولكنر رؤية القطيع وهو يسير ببطء موقعاً اثار حوافره على الرمال، دائراً حول نفسه، متجهاً نحو الغرب، وامامه يمتد نهر دیامانتينا القوي، كئيباً منطوياً على المجهول. يتدفق عبر المجرى حتى نهايته في زمن الفيضان، يخرج عن الطوق وينتشر مغطياً خمسين ميلاً او اكثر، سخياً، جباراً، حاملاً للسهول عشباً تنمو عليها ابقار ضخمة.

لم تعط امطار ربيع هذه السنة الشيء الكثير. وتحول معبر النهر كقطعة معدنية احاطتها رمال شاسعة جاءت مع الريح. بعد عشر دقائق ستعبث فيها الاف الحوافر حفراً، مثيرة قصوراً فضائية من الغبار. طرق سمعه الخوار المتواصل للابقار

العطشى. جمح حصانه الأسود الضخم بودالا فهدأه بحركة من يده، وثبتت نظراته بزهو على الغسق اللاهب والسراب المعدني. اخترقت الشمس المحرقة قميصه. امال قبعته فوق عينيه حاجباً اياهما من اشعة الشمس القوية. اندفع القطيع نحو الماء وكأنه تحت تأثير تنويم مغناطيسي. رينكا والرعاة الآخرون يقودون القطيع نحو الماء متفادين ازدحاماً جهنمياً. اشرف فولكنر على العملية كضابط يراجع جنوده. لاحظ ان برادي الراعي الشاب يمضي كثيراً من الوقت لادراك المقدمة، بدا له انه راع جيد لولا ان حصانه اقوى منه. ولاحظ في الوقت ذاته ان جاك رايلنس رئيس الفريق يعطي تعليماته للشاب الذي حرك قبعته دليلاً على الامتثال، ثم اندفع نحو الأمام حاشراً نفسه وسط القطيع. تبعه جاك بنظراته للحظة، ثم توقف على حصانه مراقباً القطيع الضخم وهو يزحف نحو انعبر. مع جاك تسير الأمور على احسن ما يرام.

لكز فولكنر حصانه فانحدر نحو التل الرملي. على الجانب الآخر، تمتد مساحة شاسعة تغطي اميالاً كثيرة. لقد حرست هذه الأرض الضخمة الهائلة بكثير من الآثار. اثار سكانها الأصليين الذين استعملوا في رسومهم الألوان القزحية والزرقاء والوردية التي تزخر بمصادرها هذه الأرض، وشبكة من المياه تحيط بها، كالخطوط التي يحملها وجه انكارتا الحكيم.

انها نفس الأرض، دائماً طرية في الذاكرة. فراقها صعب. ونسيانها اصعب. بعد سنوات طويلة امضاها في المدرسة

الداخلية، ثم الجامعة، ثم رحلات حول العالم، تظل طقوس الاقطاعي القديمة راسخة. وكورين تظل في اعماقه. ميزة تحكمه في هذا الملك عن الآخرين وابعده عنهم. اخذ منه ادراك هذا الأمر وقتاً طويلاً، فقد ولد من اجل هذا الارث الضخم اخذ نفساً عميقاً من الهواء الجاف المليء بكبرياء التملك، والحب الكبير الذي يحمله لهذه الأرض. مساحة كهذه تجعل الانسان يشعر بأنه لا يقهر، تدفعه لتحدي الموت، تخدره رساخة وشساعة هذه الهضاب والابراج العالية الحمراء التي سماها جده «العمالقة الراقدين».

مالت الشمس نحو الغروب، وفولكنر يجوب ارضه، بزهو. الأرض في هذا الوقت منتعشة بمزيج سحري. وتوهج غاضب يلون جلده وثيابه بشكل واضح. يمكث هذا التوهج لحظات ثم يأتي الغروب.

ويبدو الشفق الأزرق خلف الصحراء. مارانجورا، ارض الماء المحرق، ارض السراب، واسعة، مخيفة. ارض العجائب، والسهول الممتدة والصخور والرمال الكثيرة. خمسون الف ميل من الأخاديد، من الموت السريع، والرياح المختلفة، والرمال القاسية. الغرابة المخيفة والجمال الأخاذ. والفتنة في اقصى حدودها يأتي بها المطر. في مكان ما من هذه الأرض مات كثير من الرجال. والده احدهم. كان يعتقد ان لا شيء خارج قبضته حتى عبور نهر السيمبسون بعد هطول الأمطار. لم يكن يطيق التفكير في ان والده اقبل على نهايته في

نوع من الانتحار. فقد عزم على الوصول الى الجانب الآخر وكان واثقاً من نفسه. فلقي حتفه بشكل غريب. فريدة من نوعها هذه الأرض. تعطي انطباعاً غريباً. ربما بسبب اسطورة البحر الذي كان يتوسطها في عهود ما قبل التاريخ، والذي كانت تحيط به مساحات شاسعة استعملت للصيد في العهد الحجري. وزادت من شهرتها الأماكن المقدسة الطوطمية والأماكن الجميلة الهادئة العجيبة. ولهذا السبب اراد كرينوود زيارتها. الاستاذ لوكاس كرينوود عالم انتروبولجيا معروف جداً، يعمل مع بيتجانات جارا وهي منظمة معترف بها تعنى بشؤون السكان الأصليين، ثقافتهم وأساطيرهم، والكتاب الضخم الذي يحكي حكاية زمن الحلم والذي تتوارثه الأجيال وتحرص عليه. ما يهم كرينوود في الدرجة الأولى، هو تلك الرسوم الحجرية الغنية بالمعلومات الاجتماعية والتعابير الفنية والروحية عن شعب بدائي انقطع عن بقية العالم وعاش منفياً في الجزيرة الضخمة تيرا اوستراليس، ارض الجنوب الكبيرة، المجهولة الغريبة، وحياتها الوحشية التي تطورت واستطاع اهلها الحفاظ عليها عبر الحقب الطويلة.

حث فولكنر حصانه على الذهاب شطر البيت، وقطب حاجبيه للفكرة التي عبرت دماغه في تلك اللحظة. كرينوود وفريقه. لقد اعطى موافقته وسمح لهذا الفريق بزيارة ارضه. عليهم ان يغادروا باهل باهلا الموجودة بجوار ارضه في اقصى الشمال الشرقي، في الثامنة صباحاً وسيصلون قبل الغروب

بقليل. وبما انهم لم يزعجوا احداً لمدة طويلة، ولم يخلقوا لانفسهم مشاكل من نوع ما، فهو يرحب بهم لقضاء شهر على اراضيه يقومون خلاله بأبحاث في المنطقة.

كرينوود استاذ عملي يعرف كيف يتصرف في اي مكان من هذه الأرض. لكن مرافقيه، هل يستطيعان ان يتصرفا كأستاذهما؟ فولكنر لا يملك الوقت الكافي للقيام بدور المربية لشابين تخرجا حديثاً من الجامعة ولا يملكان تجربة التعامل مع اي مكان من هذه الأراضي. ترك التفكير في ضيوفه القادمين الى لحظة لاحقة، وانصرف الى شراب منعش وحمام مريح. في الطريق الى بيته غمره احساس بحب جارف لهذه الأرض الجميلة الجذابة وهو ينظر الى الازهار الثابتة على سرير النهر، تتموج تحت تأثير الريح وتبدو كشريط ملون لامع.

مشهد غريب لجمال غريب. لا اثر لأي شيء، لا نبات، لا حياة، فقط صخور ناتئة، سهول كئيبة، سرير نهر جاف خاضع لمهب الريح، وطائران احدهما ضخم والآخر هزيل حلقا امامه لحظة ثم اختفيا. رأى ايضاً طائراً غريباً ضخماً يلقب بـ«ظاهرة الغرب» يحلق بجناحين هائلين اعطتهما اشعة الشمس بريق الزمرد.

الانسان في مواجهة الفراغ، فكرت بيري واعتراها شعور غريب جعلها ترتجف للحظة. ثم مدت يدها الى شعرها المتدفق على كتفيها ورفعته قليلاً فاسحة المجال لنسمة تلطف من الحرارة الجاثمة على كتفيها العاريتين. وبدا المكان على طبيعته التي لم

تتغير الا قليلاً منذ عهد الحلم.

- نحيف، أليس كذلك؟

سألت لتكسر الصمت السائد. كان الحر خانقاً في اللاندروفر. التفت اليها مارك في نظرة تهكمية وقال:

- حكمة نطق بها الشباب!

ظلت عيناه ترمقانها، نظرته تحمل بريق الاحباط، وتتأمل الوجه الفاتن والقوام الرشيق والثوب الشفاف الذي كانت ترتديه بيري.

- أليس كذلك؟

الحت في السؤال وقد ضايقتها نظرات مارك، فأضافت:

- بصراحة، لم اقابل في حياتي شخصاً مثلك يمعن في التحديق بهذا الشكل الغريب. ماذا بك يا مارك؟

رد بحنق:

- لا استطيع ان الوم الاستاذ لأني لا احب اقاربه.

انطلق صوت كرينوود لطيفاً ليهدىء من حدة الموقف، كان يتابع الحديث بنصف عقله بينما انشغل النصف الآخر بما عساه يجد في كورين.

قالت بيري بسذاجة:

- لا يدرك المرء مدى شساعة هذه الأرض الا عندما يراها. تبدو لا متغيرة، بدائية. استطيع تصور ابطال عهد الحلم بيننا يطلعوننا على قوانينهم التي يجب ان نحترم مخافة عقوبة الموت.

ـ خيالك جامح ايتها العزيزة.
قال مارك ساخراً، رافضاً ان يرضخ لجمالها.
ـ الا تشعر بهذا يا مارك؟
سأل لوكاس كرينوود، مداعباً، وقد ادرك اهتمام مارك بابنة اخيه.
ـ لا، لا استطيع ان اتصور هذا. لقد بدأت اشعر اني كوتد دق في الأرض. محاصر ولا استطيع حراكاً.
ـ هذا يعطي لفريقنا طابع التنوع في التفكير والرؤ ية. فريقنا اذن قوي وقادر. اعتقد ان لبيري قدرة على الخلق. للجمال عدة اشكال، وهذا يؤ ثر في شكل لا استطيع انكاره. سحر هذا البلد متميز عن اشكال السحر الاخرى. لا استطيع ان اشرح احساسي. وقد قال لي عدد من الأهالي، عن هذا الشعور المستعصي على الشرح، انه مجرد احساس بدائي. اعتقد ان هذا البلد عرف صدامات دامية في الأيام الأولى من اكتشافه. اندفع الرجل الابيض باغنامه وابقاره داخل الأرض دون كلل، بينها دافع الرجل الأسود بحدة مرعبة وغاضبة عن اراضيه المقدسة. فكان الصراع عنيفاً طيلة فترة الحرب السوداء في كوينسلاند. كانت تعادل في همجيتها الغرب الاميركي. ولا رجل ابيض تنازل عن فدان واحد لاخيه البدائي. ما اعتبره اجدادنا طبيعياً ومقبولاً صعب ادراكه عند القبائل، واعتبروه منافياً لطقوس اخلاقهم. فكان العنف مدرسة فاق فيها التلاميذ اساتذتهم. هذه الأرض تحتفظ بكآبة عتيقة لأكثر من قرن،

حتى ينبت العشب فوق القبور المنسية. قد تكون ارواح الذين لم يتم موتهم. من يدري؟

كان صوت الاستاذ فاقداً لأدنى اثر للانبهار، وساد جو من الكآبة على الجميع. واحس مارك بأن نصفه الثاني خضع لاحساس بالموت دون ادنى قاعدة علمية.

ـ كل هذا قاس جداً.

قالت بيري.

ـ انا آسف. لم اكن اقصد اساءة، لكن يبدو المكان موبوءاً.

رد مارك مواجهاً حدة بيري.

رد كرينورد:

ـ تماماً. لكن الواقع افظع بكثير. انت لست محتاجاً الى تأكيد مني لتصدق ما سأقول، ولكنه اعتراف بسيط بما ذكرت. لقد علمت من مصدر موثوق به ان شبح المهندس الكبير فرانسيس هوارد كرينواي ما زال يجوب شعبة الصيادين.

القت بيري نظرة على مارك. بدا مرتبكاً. سألته:

ـ خائف؟

ـ انا!

ـ نعم انت، سأصلي لكي لا يكون هناك شبح من عائلة فولكنر يقلق راحتك. لا تنزعج. هذه الرحلة ستنتزعك من نفسك.

رد مارك غاضباً:

ـ لا اريد ان اخرج من ذاتي، شكراً.

ـ اعتقد انك واحد من تلك الأدمغة التي يمتزج فيها المخ المجيد بغياب تام للخيال.

ـ في الوقت الذي تملك فيه حبيبتي فائضاً من الخيال. يجب ان تعلمي ان من بين كل المزايا، الذكاء هو اصعب ما يستخرج من عقل امرأة. الرجال يملكون عقلاً رزيناً، دون مناقشة. اما النساء فتعلقهن بالأوهام يفوق تعلقهن بقدراتهن العقلية.

ـ انت احمق!

حرك كرينوود رأسه، وتدخل لحسم النزاع:

ـ يا اولاد! رغم عقلانيتي، فأنا ما زلت املك كعب اخيل، واريد من الشباب ان يحترمني.

ابتسمت بيري وقالت معتذرة:

ـ انا آسفة يا عم.

حملت لهجتها عاطفة تجاوزت حدود القرابة، في حين كانت تقاوم رغبة التطويح بنظارتي مارك بعيداً.

ـ انا سعيد بادراكك هذا، وانت يا مارك؟

ـ هل من المفروض ان ندرك الشيء نفسه؟

قال الاستاذ بأدب:

ـ مشكلتي انكما معاً تحت رعايتي.

رد مارك وقد بدا حزيناً شاعرياً، وجميلاً دون نظارتيه:

ـ انه ليس خطأنا.

ـ انا اعلم انه خطئي، العمل سيجعلكما تفقدان هذا التوتر. اعملا جيداً وسأكون مجبراً على السماح لكما بالمزاح

والضحك في اوقات فراغكما. طيبوبة فولكنر جعلته يسمح لنا بالعمل في ارضه. لو كان والده على قيد الحياة لما كان هذا ممكناً. لقد طردني مرتين، كتاجر مقيت.

قالت بيري بحدة:

- ان هذا شيء فظيع. من يظن هؤلاء انفسهم؟ رسوم الكهف ارث وطني. انها ملكنا جميعاً.

ضحك عمها ورد:

- آل فولكنر يعتبرون هذا خيانة.

لاحظ مارك بتشاؤم:

- كل ما آمل ان لا يتطور الأمر الى اسوأ، ثم الا يثير هذا حنقاً، اربعة آلاف ميل مربع، انها ملك مثير. ألم يتجاوزوا حدهم؟

اشار كرينوود بأصبعه الى الأراضي المتناثرة امامهم، وقال رداً على مارك:

- ربما، انتما الآن على ارض الارستقراطية بكل نفوذها وقوتها. لا احد يستطيع ان يدعي انهم مثلنا. اعتقد ان الانسان عندما يملك اربعة آلاف ميل مربع، يوجه الأوامر طيلة حياته، ويصبح له نمط معين من الحياة، يخلقه التعامل مع هذه الأراضي الشاسعة. لم الاحظ قط مثل هذا في حياة اهل الارستقراطية في الحاضرة. لعل الآفاق البعيدة، والفضاء الرحيب والحرية، تضعهم في خانة وحدهم. هذا ذكرني بشيء، بيري، اذا اردت التقاط بعض الصور في القصر كوني

لبقة وحذرة، واطلبي الاذن اولاً.

- اعتقد اني سألتقط بعض الصور، فكورين تعرف القصور العشرة الأوائل في التاريخ، ثم ان الصور التي رأيتها لها تبديها كمعرض هائل، خصوصاً انها تضم احسن مكتبة خاصة في البلد. لقد قرأت عن العائلة منذ عهد جون كراي فولكنر الأول، بطلنا هذا سبا بنت عمه الحسناء مباشرة بعد خطوبتها لأحد الاعيان. وطبعاً تخلى الخطيب عن خطيبته، ونفاها في البلد، في الوقت الذي اختار فيه بطلنا منفاه في الجنوب الجديد بعد تدخل من امه الارستقراطية. هناك استقبل بحرارة وانتظر منه ان يكتشف نمطاً للحياة في هذه الأرض، لكنه خذل الجميع وسعى الى الكسب بطرقه الخاصة، وبعد ست سنوات بدأ يكون ثروته الطائلة، فبعث بمبلغ ضخم الى عائلته، فكانت مكافأته ان ظهرت بنت عمه الحسناء، فتزوجا ورزقا بسبعة اولاد. منذ ذلك العهد اصبح اسم جون كراي فولكنر يبارك كل جيل. جميل، أليس كذلك؟ اتساءل الآن عن جون فولكنر الحالي، من يشبه؟ لعل الصورة القديمة ازدادت تشوهاً.

سألها مارك وهو يحاول ان يخفي عاطفته تحت رداء غاضب:

- وماذا يهمك انت من كل هذا؟

القت عليه نظرة ساخرة وقالت:

- اعتقد اني استطيع ان احلم.

- لن يفيدك هذا في شيء، الارستقراطيون لا يهتمون الا بأمثالهم.

ردت ساخرة:

ـ اعتقد اننا الآن، سنتشرف بالحصول على الموافقة الكريمة لزيارة ارض الأجداد.

قال كرينوود بابتسامة جافة:

ـ نعم، لكن اذا وعدتماني الا تخافا، لن اخاف بدوري. في اي حال، لقد نقصت حدتهم في تمجيد اجدادهم هذه الأيام. وغير الأعيان طباعهم الراسخة في القدم. الى جانب هذا، هم ايضاً عاشوا مآسي كثيرة في الأيام الأولى كمعظم العائلات التي اكتسحت الأرض. حتى شوتو فولكنر الأب، لم يستطع مقاومة الموت وهو يحاول عبور السيمبسون. مما اذكر عن هذا الرجل، انه لم يتنبأ باحتمال عدم تمكنه من عبور النهر بعد الامطار. كان مغامراً مغرقاً في التفاؤل. اذكر ايضاً ان ارملته تزوجت بعد موته بسنوات.

احنت بيري رقبتها ومسحتها بقطعة من الورق، متجاهلة نظرات مارك العطشى الى جمالها. وقالت:

ـ اذكر الآن، انه كان اميركياً، وكانت له علاقة مع نقابة مربي الابقار في تكساس، لقد تكلمت عنه جريدة «المرأة في اسبوع». كان انيقاً وجذاباً، زوجته كانت تصغره بعشرين عاماً، اقصد زوجته الثانية.

انحنى مارك نحوها وجذب خصلة من شعرها الذهبي قائلاً:

ـ تأثرت؟

ردت بيري بابتسامة خبث افقدته توازنه:

ـ جداً، خاصة عندما يتعلق الأمر بقصة حب عنيفة. وانا اشعر بالاشفاق على نفسي من هذا.

نظر كرينوود الى بنت اخيه بارتياب:

ـ حسناً. ما تقولين يطمئنني.

حشر مارك نفسه في الحديث من جديد:

ـ اذا اردت نصيحة مني ايتها الغالية، سأترك مثل هذه الأمور لمن يعرفها. وهنا، لن تعثري على مرادك، على اي حال.

ـ ولم لا؟ جون فولكنر الحالي ما زال عازباً، وانا لدي حساسية خاصة للأغنياء.

لم يتمالك مارك نفسه وصاح غاضباً:

ـ انت تثيرين اشمئزازي، كل النساء يثرن اشمئزازي.

ابتسمت بيري وحدقت فيه بدهاء:

ـ عليك ان تقبلهن كما هن. لا يمكننا ان نكون مثلك تماماً، لكنك في يوم من الأيام ستعثر على ضالتك.

تجاهلت نظرته المريرة، ووجهت بصرها الى الأميال الشاسعة الممتدة امامها. ثم قال العم لوكاس:

ـ لقد رقصت ببالي فكرة الآن. هل في هذا اليوم من هذا العصر يمكن ان نتيه؟

ـ انت تمزح؟

ـ لا يا عزيزتي. انا لا امزح. لقد خامرني هذا الانطباع قبل

دقائق فتساءلت: هل ستتيه؟

انفجرت بيري ضاحكة، لاحظ مارك ان الأمر لا يدعو الى الضحك. ابتسم لوكاس. وحركت رأسها قائلة:

ـ فضيلة التحدر من سلالة انكليزية يا عزيزي اننا لا نفقد ادمغتنا بسهولة. اهدأ واجلس في المقعد الخلفي للسيارة، ودعنا نخفف من آلامك. انت عصبي، والعصبيون كقنبلة موقوتة تدق باستمرار حتى تنفجر.

تدخل العم:

ـ بيري، لا تضايقي الولد ايتها الداهية الصغيرة. اريد رأيك يا مارك، اني احترم آراءك واثق في حكمك.

نظف مارك نظارتيه، جلس امامها، وقال:

ـ انا اذكر اني قلت قبل عشرة اميال من هذا المكان، اننا لن نجد سرير النهر هنا.

تنهدت بيري، وقالت:

ـ يا الهي! ما لك تتصرف كتلميذ مجتهد؟

ـ انتِ فتاة غريبة الأطوار، انت لغزاً استعصى علي فكه.

اشعة الشمس على وجهها اعطت للون بشرتها جاذبية افقدت مارك القدرة على صرف بصره عنها، فحرك رأسه قائلاً:

ـ كل واحد يرى ان احكامه هي الصائبة، احاول فقط ان آخذ في الاعتبار كل الاحتمالات، ثم ان الاستاذ طلب مني رأيي، واستنتاجي الصريح هو اننا ضعنا.

رد الاستاذ مبتسماً:

ـ ضعنا لكننا متفائلون.
وقال مارك:
ـ التفاؤل قد يجرف الانسان.
رد الاستاذ:
ـ الحذر يولد من التجارب القاسية، واعلم يا مارك ان كل شيء الآن على احسن ما يرام.
ـ مشكلتك يا استاذ ان حظك حسن، ولهذا فأنت لا تدرك الحظ السيء ولو كنت في مواجهته.
قالها مارك، وقد احمر وجهه خجلاً.
ساد الصمت للحظة ثم اشارت اليه بعصبية وقالت:
ـ يجب ان اراقبك. لقد اصبحت مريضاً.
ـ انا واقعي فقط.
تأرجح كرينوود في مقعده وقال:
ـ يعجبني التفرج على مشاحنتكما. لكن ليس في هذا الظرف. اخرجي الخريطة يا بيري ولنتعرف على آثارنا حتى آخر تل رملي. خذي كل ما تحتاجين اليه، لقد كان مارك على حق في مسألة الجدول. مشكلة هذا النوع من الأراضي انها ممتدة الى ما لا نهاية. الصحراء مكان امين لكن قواعدها صارمة تتطلب دراية كاملة بالضروريات.
غيّر ملابسه وحرك اللاندروفر نحو الأخدود الرملي.
ذهبت السيارة في الطريق الذي جابوه من قبل، الأرض تمتد امامهم لامتناهية تحت قبة السماء المحرقة. قاسية. جافة.

الشمس لهيب يحرق. لا سحابة في السماء. لا صوت. الصمت مطبق. والسراب اللامع يوهم بواحة في السهول العارية الحارة.

تفحصت بيري الخريطة، لا يمكن ان يضيعوا، لم يكن نهر السيمبسون الصعب الاقتحام بعيداً، وعادت الى الذهن المآسي التي حدثت مؤخراً، فأجهدت تحملهم، وزاد مناخ الصحراء الخانق من هذا الاحباط. لاحت اخاديد الرمل امامهم كحاجز ضخم، لكن السيارة اعدت لتقاوم اقسى الظروف وتحمي نفسها من الصخور والنتوءات، كانت محملة بكمية كبيرة من الوقود والماء والمعدات، ثم ان للعم خبرة التصرف في مثل هذه الظروف.

القت بيري نظرة على عمها، رأت فيه رمزاً للقوة والصبر والدعابة، لكنه مع هذه الحرارة لم تعد لديه قوة الشباب فبدا لها شاحباً، كئيباً. لعلها تتصور ذلك. من سوء الحظ انه احتقر الخطر الكامن في نهر السيمبسون الذائع الصيت، كل الناس يتعاملون معه بحذر، وهم الآن تحت رحمته.

عوض ان يتاخم التلال كما فعل من قبل، ادخل العم السيارة في تل واحد، كمحارب قديم، ثقته لا تهد بالعجلات الاربع والمحرك القوي الهادر. تحدت اللاندروفر الرمال، اقتحمت المنحدر، وقاربت القمة، هدرت بشجاعة وتوقفت على السطح يحاصرها العشب الجاف والجذوع. اذا لم يكن الموقف مخيفاً فهو يقطع الانفاس. امواج قرنفلية تلمع في تواز

على علو مئة قدم، شيدتها قرون من سيطرة الريح نثرتها لمئات الأميال، بين الموجة والموجة مساحة ربع ميل تقريباً. في عمق الحوض نباتات برية بعضها متين وبعضها اوهى من بيت العنكبوت. لا اثر لأي نوع من الحياة.

شعرت بيري بخوف عميق ينبعث من لاوعيها. هذه الأرض لا قيمة لها.

لاحظ كرينوود بهدوء:

ـ هذا الخطأ البسيط اخذ منا ساعات.

هدوءه ملأ الشايين ثقة. فسألت بيري محاولة اخفاء ارتعاشة صوتها:

ـ هل تعرف اين نحن الآن يا عم؟

ابتسم لها وداعب ذقنها:

ـ اعرف اين كنا تقريباً، يا عزيزتي. فلنلق نظرة على الخريطة. اذا توصلنا الى اختصار تل او تلين يكون لدينا حظ كبير لادراك الوقت الضائع. الرمال والمطاط عدوان طبيعيان، لا بد للسيارة من ان تتدحرج عبر الأخاديد الواطئة... وجدتها!

القى مارك سؤالاً متهكماً:

ـ كيف سنخرج من هنا؟

همس الاستاذ، وهو يفكر في شيء آخر:

ـ علينا ان ننزل من الجهة الأخرى ثم نصعد من جديد.

كان الهبوط سهلاً، سريعاً، ودون عناء رغم ذلك فقد اثار

غثياناً خفيفاً لديهم. ساروا جنب الأخدود الرملي من جانبه الواسع الوعر، وعندما وصلوا الى السهل ضاعفوا من سرعة السيارة. تلاشى خوفهم، ويدوا مرحين. في المساء سلم الاستاذ المقود لمارك بعدما بدا عليه التعب. ودخلوا من جديد في قناة قاحلة. حاول مارك ان يقطع اكبر مسافة ممكنة. لم يروا اثراً للنبات وهم يصعدون التل الرابع الذي بلغ ارتفاعه اربعين قدماً. كالجانب المظلم من القمر بدت الرمال رحبة، مخيفة. في مكان كهذا يضيع الانسان بكل سهولة، والى الأبد.

بذل مارك جهداً اضافياً ليدفع اللاندروفر الى المزيد من السرعة. بعد صعود عشرين ياردة من منحدر توقفت اللاندروفر فجأة. القى مارك شتيمة بذيئة ومسح العرق المتقاطر فوق عينيه. ترك السيارة تنحدر نحو السهل، ثم حاول الصعود من جديد. لكن المحرك هدر هذه المرة آمراً السيارة بالوقوف. نزل الاستاذ وبيري للتخفيف من الوزن الذي تحمله السيارة علها تصعد هذه المرة دون عناء. حاول مارك ان يصعد من جديد لكن العجلات انغرست في الرمال من كثرة الضغط على البنزين.

اقترحت بيري وقد سقطت خصلات من شعرها على خديها الملتهبتين:

- لم لا نحاول ان ندفعها؟

- هنا، لا يمكن.

قال الاستاذ، واشار لمارك بأن يدعها تنحدر من جديد.

فعل مارك بمهارة ما امر به لوكاس، لكن ما ان اقترب من السفح حتى دارت السيارة فجأة منفلتة من تحكم مارك وكادت تدهس الاستاذ الذي قفز الى الوراء صارخاً من الألم وقد احاطت ذراعاه ركبته.

صرخت بيري من الفزع وركضت نحو عمها ومارك وراءها:

ـ أأصبت؟

رد كرينوود بصوت خافت وهو يصر على اسنانه:

ـ لقد دست على رجلي ايها الشاب، لو لم اكن بطلاً لصرخت.

رد مارك وهو يلهث من التعب:

ـ انا لم اقصد الاساءة اليك، حاولت ان اديرها فلم استطع. هل تكسر فيك شيء؟

ـ كل شيء. ان هذا مؤلم. من حسن حظي اني لم امس الا بطرف العجلة، وكانت رجلي مغروسة في الرمل. والا كنت دون شك قتلتني.

صرخت بيري:

ـ انا خائفة. لقد فقدت كل ذرة من روح المغامرة. اشعر اني محمومة وعصبية.

قال مارك الذي بدا متأثراً، وهو يبحث عن نظارتيه اللتين سقطتا في مكان ما:

ـ سامحيني.

ـ اعتقد ان من واجبي ان اسامحك، وافضل ان نهلك معاً. هل تستطيع ان تقف يا عم؟

ـ نعم اعتقد ذلك.

ثم وقف ببطء محاولاً ان يطأ بقوة على قدميه تاركاً اصابعه المسحوقة تتحمل كل وزنه.

ـ هذا احسن، الانسان يستفيد من المعاناة ويصبح اكثر تحملاً.

اقترح مارك:

ـ الا نؤجل كل هذا حتى تأتي الاغاثة؟

افتر ثغر الاستاذ عن ابتسامة شاحبة وقال:

ـ هل تستطيع ان تضمن وصول الاغاثة؟ ضع ثقتك بي ايها الأحمق، لقد خرجت سالماً من اسوأ من هذا المأزق.

ـ لا اظن اننا سنخرج من هذا المأزق.

تناهى الى سمعهم هدير يكبر مع الريح، يتكلم لغة الانقاذ ويعلن نهاية المأزق كما تنبأ بها كرينوود. حجبت بيري بصرها بيدها ونظرت الى السماء. غمرها احساس بالحرية. حجبوا كلهم اعينهم بأيديهم وحدقوا في السماء.

قال الاستاذ منزعجاً:

ـ ليس في مصلحتنا ان يأتي مضيفنا للبحث عنا.

القت بيري عليه نظرة حادة مهتمة:

ـ أسهل شيء عند هؤلاء ان يمتطي احدهم طائرة. ثم اننا لم نفعل ما يخجلنا. انها هيليكوبتر ولا بد انهم رأونا.

ركضت بضع خطوات فوق التل ولوحت بيديها، ثم انتزعت منديلاً ولوحت به. تدفق شعرها فوق كتفيها وتساقط على ظهرها. قد رشيق. شعر متناثر. سحنة غجرية. كل هذا ولد انطباعاً غريباً لدى مارك.

فقال:

- لا داعي للتصرف كمن نجا من باخرة غارقة.

التفتت اليه منفعلة وآثار الشمس على خديها:

- لا بأس في ان نترك الخصم خارج حلبة الصراع. الترحيب الاستفزازي يذيب الجليد بين اغلب الرجال.

ابتسم العم، وقال:

- فعلاً. لنتظاهر بالرضوخ لقوته إرضاء لكبريائه، هو صاحب الفضل الآن.

- اسمعت، يا رجلاً دون قلب؟

خاطبت بيري مارك وركضت هبوطاً، بينما نظر مارك الى الاستاذ طالباً الصفح عما صدر منه. اجابه الاستاذ بابتسامة:

- اهم شيء هو ان نبقى معاً.

ورفع بصره الى الطائرة التي حلقت منحدرة بشكل سمح لهم برؤ ية الربان داخلها.

- انهم يهبطون. يجب ان ينحصر اهتمامنا في العمل.

نبه الاستاذ مساعديه. وانطلق صوت مارك وكأنه غير راض عن الوضع:

- هذا العمل اللئيم يشبه معركة.

بيري متهكمة:
ـ تبالغ، كعادتك.
صرت اسنانها واضافت:
ـ لا تنزعج يا ولدي ودع العم لوكاس يتصرف.
وضع يديه فوق حاجبيه ليرى الطائرة تحوم حولهم للحظات ثم تهبط. تستقر على الأرض. ينفتح الباب. يقفز شخص من الطائرة. اطلق مارك في اذن بيري همسة تهكمية. ردعته:
ـ صه!
صدمها المشهد اللامتوقع لشخص سمين وقصير توجه نحوهم. مانع مارك ضحكة كادت تنفلت منه، وقال:
ـ النساء حمقاوات. مشحونات بالمزاعم الوهمية. ها ها ها، قصة حب عنيفة. انه خطأ فادح ان تعتقد ان شخصاً غنياً يتمتع بالضرورة بمظهر جميل.
ابتسم الاستاذ بخبث:
ـ ليس هذا هو الشخص الذي يهمنا.
ثم ثبت بصره على شخص مديد القامة، نحيف الوجه، كان يتقدم بدوره نحوهم. تراجع القصير السمين، فاسحاً المجال للآخر. قال مارك:
ـ احقاً ان هذا هو فولكنر؟
كان فولكنر مالك اربعة آلاف ميل مربع دون منازع. القاضي، صانع القوانين على هذه الأراضي.
اقبل نحوهم بخطوات مرنة، وقال بصوت طالما

سحر النساء:

- استاذ كرينوود؟

قدم نفسه، قدم ايضاً مرافقه:

- جاك رايلنس ، رئيس الحراس. انا سعيد بلقائكم. لا شك انكم عانيتم من صعوبات ما.

تحت حرارة الشمس الملتهبة، وامام الرمال اللامعة، شعرت بيري وكأنها تحلق فوق نفسها. لعله المناخ، لعله الصوت الساحر الذي تكلم اللحظة. ادركت ان مظهرها غير لائق، وشعرها منفوش، وقميصها فقد احدى عقده. امام فولكنر اختفت شخصياتهم. تأهبت بيري للدفاع عن نفسها امام هذا الجبار.

كرينوود كان يخالفها في الشعور، تقدم نحو فولكنر مبتسماً، قدم ساعديه وسرد له المضايقات التي تعرضوا لها في الطريق. قامت بيري بحركة معلنة وجودها، صافحت جاك رايلنس مبتسمة ورد على ابتسامتها بابتسامة مماثلة، ثم صافحت فولكنر.

التقت نظراتهما للحظة. ارتعشت يدها بين يد فولكنر. حاولت ان تبدو عادية في حديثها، قالت انها دفعت الى اتجاه لم تكن تريده. قرأت في عينيه انها امام رجل الرجال الذي لا يجهل شيئاً عن النساء. قرأت في عينيه اليقظة والدهاء والتحدي للجنس اللطيف، قرأت كذلك السهولة التي يتخلص بها من امرأة. غرقت في قراءاتها ولم تسمع السؤ ال الذي القاه عليها.

القى عليها نظرة صحبتها ابتسامة ثقة في النفس:
ـ الشيء الذي لم اتوقعه قط. امرأة!
صدمتها نظرته المزدرية، قال:
ـ لم افهم من رسالة عملك ان الأمر يتعلق بامرأة.
ردت بحدة:
ـ فهمت الآن.
ـ يبدو اني اسأت اليك!
كتمت انفاسها المتلاحقة واجابت:
ـ لا ابداً، من الصعب ان يقبل عقل الرجل امرأة تعمل.
ضحك ورد:
ـ لا ، لا، انا مع النساء، لا سيما الجميلات.
ازاحت بصرها عنه، هاربة من التقوس الساحر لزاوية فمه، شعرت بارتباك وفكرت انها جاءت هنا لتعمل لا لتدخل في مأساة مع رجل كفولكنر. يبدو انه الرجل المناسب، لو عرفت كيف تسرق اهتمامه.
لاحظ مارك ارتباكها، ضيق عينيه بخبث: (جون كراي فولكنر رجل رائع، يجب ان اقر بهذا. وسيم ازرق العينين. مؤدب، يحسن الكلام، وبيري تعلقت به. فتاة دون تجربة). عندما اتجه فولكنر نحو كرينوود ليتفحص قدمه المسحوقة، اقبل مارك نحو بيري واطبق على معصمها غاضباً. آلمها، فالتفتت اليه مذعورة:
ـ لقد آلمتني ايها الأحمق.

همس مارك بحدة:

- فاتن، اليس كذلك؟ تحومين حوله كقطة لا حول لها ولا قوة. الست محقاً في تنبؤي، ايتها العزيزة؟ ما هو نصيبه من الحب والحنان؟ رغم اني متأكد من مهارته في اقتناص النساء، وستصدمين ايتها البريئة العزيزة، رجل كهذا لا يليق بمبتدئة مثلك، كان عليك ان تبدئي تداريبك بمن هو ادنى منه مرتبة. انها نصيحة من غجري.

- لقد كنت دائماً اقول انك احمق.

- حدسي لا يخطىء ايتها الجميلة، هذا الجو المشحون منافسة يثيرني، ولفولكنر طاقة فوق المعتاد في كل شيء، انتما معاً، عند التقائكما ستكونان خليطاً رهيباً.

احتفظت نظرات بيري بحدتها، ظلت لامعة رمادية، رافضة. ردت بصرامة، وكانت تقصد ان تتكلم بصرامة، فمارك يريد ان يوجهها:

- كان علي ان اقر بأن لك حساً بدائياً للدعابة.

- اقري بما تشائين، لكن لا تسلمي نفسك للشيطان، ان تتعرفي على الجن خير لك من تعرفك على فولكنر.

للشمس بريق ذهبي على الشعر الأشقر المتناثر:

- لا تكن احمق يا مارك، ودعني. لقد ارهقت بما فيه الكفاية.

التقت نظراتهما، ولم تستطع قراءة نظرة مارك الذي قال:

- ربما، لكن افتتانك بفولكنر كان واضحاً جداً.

ـ هائل، انت فريد من نوعك. انت حكيم وحكمتك اضافة نفيسة للحكمة الانسانية، سنأمل منك الكثير. فولكنر يا عزيزي لم يحرك في ساكناً.

كانت كلماتها ساخرة، والجهد الذي بذلته في القائها كان واضحاً. رد مارك بهدوء مفتعل:

ـ اود لو سمح لي بمنافسته. لو استطعت لأبعدتك عن تأثيره. واشعر بأنك ستسقطين فريسة سهلة بين يديه.

مررت لسانها على شفتيها وقالت:

ـ ولم لا؟ اتصور انه مخلوق لهذا، اما انت فمن الأفيد لك ان تعود الى تصاميمك.

لم ينظر اليها، لكنه اظهر اسنانه مفتعلاً ضحكة:

ـ «دع النار تداعبني». . . من قال هذا؟ المرء يوافق بأي ثمن على الجحيم من انثى لها مثل عينيك وشفتيك.

حرك رأسه بعنف، استيقظ مما سماه حالة «جنون» ممزوجة بالنار والارهاق، والتحذير المسبق اللامجدي من شخص مهيأ لكسب الرهان: (فولكنر، سأذهب الى الجحيم اذا حاز عليها). ثم خاطبها منفجراً:

ـ لا تعتقدي اني اجد متعة في تحذيرك، افعل هذا فقط من اجل مصلحتك، والتحذيرات في اوانها قد تفيد.

ردت بيري بصوت يقطر عذوبة:

ـ ترهات! هفوتك انك شيدت كل اعتقاداتك على خطأ.

ـ لقد تربيت على الا اثق في الفتيات مثلك.

اقتربت منه بيري واحاطت كتفيه بذراعيها، داعبت خده باصبعها في محاولة للتخفيف عنه:

- لا تكن حملاً اكثر مما يجب. اعدك باني لن اترك الفريق الذي جئت معه. لن افعل ذلك ابداً.

لكن هذا لم يخفف من الم مارك. التقت عيناه بالنظرة الزرقاء المتفرسة لفولكنر القوي، الضاحك. سحب نفسه من ذراعيها ببرود. وهمس لها:

- هل تقوين على عدم خداع نفسك؟

ثم هبط الى الأخدود الرملي، حيث ينتظر الآخرون. تبعته بيري يعتريها شعور بالارتياح من هروبها من التفرس الأزرق الذي كان مسلطاً عليها من طرف فولكنر، لكن صوته انطلق ليحرك في داخلها شيئاً:

- اذا كنت مستعدة يا آنسة كرينوود، سيأخذك جاك انت وعمك الى كورين. هذه القدم تؤلمه وهو في حاجة الى الراحة. الحمدلله ان القدم ستكون على خير ما يرام قريباً، اذ لا كسر فيها.

سألته:

- والسيارة؟

- انا ومارك دوراند سنأخذها الى كورين. كوني مطمئنة، فلن ندعها هنا.

التفت كرينوود والقى نظرة احترام على الشاب، الأمر الذي لم يفت بيري، وقال:

ـ شكراً لك يا فولكنر. هذا كرم منك.
ـ لا ابداً، لقد تحملت ما فيه الكفاية.

تدخلت بيري لتحمل نفسها مسؤولية الخطأ، فتركزت عليها نظرة فولكنر الزرقاء، وارتعد جسدها:

ـ تبدين قاسية على نفسك، بالقدر الذي تروقين فيه للعين.

التفتت اليه، وحرارة من نوع آخر تغمر جسدها:

ـ هذا صحيح.

ضحك. عضت على شفتيها. اسدلت جفنيها وخاطبت عمها:

ـ اذا لم يضايقك هذا يا عم، فأرجو ان تدعني هنا، حتى تخرج السيارة من هذا المأزق. المغامرة والتحدي هدفي، لا احب الأشياء السهلة.

حدق فولكنر فيها وكأنه امام لغز:

ـ حسناً، لست ادري هل من اللائق ان اقول ان رفقة امرأة مثلك لا تعتبر مطلقاً مضيعة للوقت.

ردت صادقة:

ـ شكراً يا سيد فولكنر. وانا مستعدة للبقاء.

ـ ولم لا. يجب ان تعلمي اننا لن ننتهي من مهمتنا في المساء، سيكون علينا ان نمضي الليلة في الخلاء.

قال هذا والقى عليها نظرة لها معنى. صلبت عودها، سأل:

ـ الأنوثة اختفت؟

ـ لا ابداً، بل اشعر ان الخوف طرده وجود رجلين معي.

همس مارك، محاولاً ثنيها عن عزمها:
- قد يحتاج اليك الاستاذ...
لكنها قاطعته، وتدخل الاستاذ:
- لا تكوني ساذجة يا عزيزتي، انت ما زلت شابة، ولديك من الوقت ما يروي ظمأك الى المغامرة.
قال فولكنر مخاطباً جاك رايلنس:
- جاك، لنأخذ الاستاذ الى الطائرة. ولنتوقع اغاظة مغامرتنا الشابة.
جذبت بيري نفساً عميقاً، وابتسم جاك وهو يحدق فيها بشكل خاص، وحاول بدوره اقناعها بركوب الطائرة. لكنها ظلت مصممة.
القى عليها فولكنر نظرة مزاح، وقال:
- انت ما زلت صغيرة على هذا النوع من المغامرة، لكن الذنب ليس ذنبك.
تحملت قدر ما استطاعت من العينين الجهورتين والوجه المتعجرف، والجاذبية القاسية المخيفة. قوست حاجبيها. تركت فكها يتحرك دون ان تقول شيئاً. يبدو ان الجنون استولى عليها. ورفعت يدها لتخفي عينيها. ضحك فولكنر باقتضاب وهو يحدق فيها، ادركت ان ضحكته نتيجة لتصرفها. توجه نحو كرينوود، وقف عند كتفيه وقال:
- طيب، فلنذهب يا استاذ. انه حظك الأخير يا آنسة كرينوود.

احست بنظرات مارك تخترقها. ركضت نحو عمها. قبلته على خده:

- سأراك في كورين يا عم.

نظر اليها فولكنر بهدوء وقال:

- بل انت في كورين ايتها الحسناء.

تركها تحدق في ظهره العريض. خلف لديها انطباعاً غريباً وهو يأخذ عمها الى الطائرة. ثم عاد نحو بيري ومارك بينما كان محرك الطائرة يئز. ارتفعت الطائرة عمودياً مثيرة حولها زوبعة من الغبار. حيوها وهي تبتعد عنهم. سوى فولكنر من وضعية قبعته فوق رأسه. رأت فيه بيري شيئاً لم تره من قبل.

همس مارك في اذنها:

- حتى لو حاولت تحليته، انه السم.

اثارتها مهاجمته لها. التفتت اليه غاضبة، انه يحمل في داخله نواة حقد مرة على فولكنر:

- ابعد عني ايها الغبي، وتوقف عن تصرفك الأحمق، انت تهذي.

ترنم مارك، بنبرة حزينة:

- عش رجباً، ترى عجباً. انت تتعلمين الآن اشياء عن شخص هو انت. هناك خطر يجب ان تأخذيه في الاعتبار. فولكنر، انه رهيب. انه داهية وانت حمل وديع. اشك في ان امرأة حقيقية تستطيع مواجهة موقف كهذا بهدوء.

ثم اضاف ساخراً مقلداً صوت فولكنر:

ـ سنمضي الليلة في الخلاء، انت ايتها الجميلة، احلم بك عاشقة.

سألته بيري هازئة من تصرفه:

ـ صواب من تحاول ان تفقد؟

مفجوعة تتساءل. اي اتجاه يأخذ مارك. انه يعزف على وتر غريب. ويملك الحقيقة في الوقت نفسه. الأحاسيس تخدع. والرغبة قوية. وفولكنر يستطيع ان يخرج المرأة عن طوقها. رفضت ان تقتنع اول الأمر بأن النساء شاعريات والرجال واقعيون.

ـ هيا بنا الى السيارة، ارى انك لا تريد ان تعتذر عن تصرفك اللئيم. انا لا استطيع ان احتمل المزيد من نظرات السيد فولكنر. ها هو آت الآن.

خاطب مارك فولكنر. كان صوته جافاً ووجهه شاحباً:

ـ ماذا تعتزم القيام به يا سيد فولكنر؟

اطلق فولكنر صفيراً، نفخ خديه واستمر في ايقاعه. فكر مارك، انه يهينني، يجعلني اشعر بشيخوخة قبل الأوان. يجب ان اعرف كيف يتصرف هذا المتعجرف. يراقب الوضع بنصف عقله بينما تشغل النصف الآخر اشياء اكثر اهمية. ثم خاطب بيري:

ـ لقد اكتشفك ايتها الفاتنة الصغيرة. بل انه تواجد فطري. روحان توأمان التقيا.

مارك يضخم الأشياء، وبيري تتضايق من تصرفاته:

- ارجوك، ارحمني من ترهاتك. تصرفك غير طبيعي.

الشعـر المتدفق يحـرق اعصاب مـارك. الفم الجميل الغاضب، ايضا يثيره. سأل:

- اريد فقط ان اعرف، هل لهذه الحماقة من نهاية؟

اصطبغ لونها وردياً قرمزياً، لسبب لا تعلمه. برقت عيناها، فكان انعكاس للشمس على صفحة بحيرة. اندفعت الى الأمام بكبرياء، نظر اليها فولكنر وهي تقترب منه، فقال مفكراً:

- تتعجلين الذهاب؟

قالت، وقد كانت تود ان تقول احسن:

- ستعاني كثيراً لتخرج السيارة من مأزقها.

ظهرت اسنانه البيضاء، مساحة من ضوء:

- راقبيني، الأمر لا يحتاج الا الى عجلات ودراية.

حدق فيها. نظرة غامضة نابعة من قامة مديدة رشيقة محكمة البناء. قال:

- اهدئي قليلاً، لاحظت ان صديقك يعمل كل ما في وسعه لتردي له اهتمامه بك. لماذا تتخاصمان؟

همست:

- انه سر سأفشيه اذا اجبتك، خاصة وانت امامي.

خطا الى جانبها ضاحكاً وقال:

- هكذا، هاأنا لم اعد امامك.

خيم الصمت للحظة. التقت نظراتهما. كانا هادئين، مبتسمين، وحذرين. لمعت اسنانه البيضاء من جديد. بدا له

شيء ما مضحكاً في الموقف. القى نظرة خاطفة على الوجه الجامد لمارك.

- قفي هناك الى جانب صديقك، لا اريد منك اي اقتراح، لأني اعلم انك من النوع الذي يرهق بالاقتراحات.

ما زال حتى الآن هو السيد المطاع. لا دقيقة لديه تضيع من اجل الجنس اللطيف. فعلت ما قال لها وعادت الى حيث مارك واقف. التصقت نظرتها بالأخدود الرملي العميق. ظل مارك صامتاً، ساكناً، معيداً الى ذهنه محاولاته الناجحة في التعامل مع اللاندروفر.

خطا فولكنر خطوات نحو السيارة. فتح بابها. صعد. اعتدل امام المقود. ادار محرك السيارة وبدأ يصعد الأخدود محاولاً الحفاظ على توازن العجلات. اقتحمت السيارة الأرض الوعرة بشكل لم يحدث من قبل، ثم زفرت متحدية الرجل الذي لا يقهر. وتوقفت. صر فولكنر على اسنانه والقى شتيمة. غادر السيارة وتأمل الأخدود الرملي. التقط بعض الاغصان الملقاة هناك ورماها في الأخدود محاولاً ملأه قليلاً لتتيسر له عملية الصعود دون توغل عجلة ما في الأخدود الرملي. صعد الى السيارة من جديد. حاول وحاول وحاول. في المرة الرابعة هدر المحرك وانطلقت السيارة خارجة من المأزق.

بدا الانشراح على بيري. لقد رفع عنها الآن معاناة التفكير في الحلول للخروج من هذه الورطة. التفتت نحو مارك وفي عينيها بريق الفرح. لم يكن منشرحاً في اعماقه لكنه حاول ان

يبدو مسروراً. همس لها:

ـ صفقي للبطل الفاتح، معنا الآن شخص يصنع المعجزات.

ردت بيري بحدة:

ـ الممارسة يا ولد. والآن تعال فالسيد فولكنر ينتظرنا.

تحت السماء الشرسة بدأ مارك يصعد التل الرملي الملتهب. في قمة التل بدا رأس فولكنر الأسود وقوامه الرشيق يلمعان، في السراب.

فكر مارك، والكآبة ترتسم على ملامح وجهه: شيء واحد مؤكد، هو ان اللحظات المقبلة لن تمر رتيبة في كورين.

٢ - الطريق الى كورين مليئة بالأساطير وما يشبه الأشباح، ومعابد غريبة. مارك يتهكم. فولكنر قوي وفاتن. كيف ستقاوم بيري كل هذا؟

اتكأت بيري بكسل شديد على صخرة. تاهت في حلم جميل في جو الصحراء الهادىء، وتحت ضوء القمر والنجوم المتلألئة في ليل بنفسجي ساحر. شعرت برغبة في يقظة جالمة، رافضة الاستسلام للنوم. كل شيء على ما يرام الآن بعدما انتهى اليوم المتعب. هناك مارك غارق في النوم، لم تسمع له الليلة شخيرا من حسن حظها. ارتسمت على شفتيها ابتسامة هادئة، وتمددت مداعبة شاعرية الليل. هذه كورين... الأرض التي يعرفها فولكنر شبراً شبراً، اطمأنت بيري، وتأملت الجو الجميل، وازهار الصحراء المتفتحة تزيده جمالاً. جالت ببصرها عبر السماء المطلة بكواكبها على المساحات الممتدة متحدية

البصر. لا شك ان القدماء عبدوا النجوم.

للريح صفير يعلن وجوده وسط النباتات والأشجار، وطائر يقذف بصوته ويوحي بان الاشباح مصدره. هنا اشياء لا يمكن تصديقها الا بعد تجربة. اطلقت بيري صرخة ذعر وهي تشعر بشيء يركض فوق قدمها. اعترتها رعشة ونهضت واقفة، مذعورة. اثارت صرختها انتباه فولكنر الذي كان يتمشى غير بعيد عنها. اسرع وسألها عما بها. ظلت ترتجف وهي ترد:

ـ لا ادري، شيء سحري انزلق فوق قدمي.

ضحك وقال:

ـ لا افهم، لعله الارهاق.

بحثت ببصرها في الأرض، واجابت:

ـ انا فتاة راشدة. اقول لك ان حيواناً ما ركض على قدمي.

واصطدم بصرها الباحث في الأرض بعينين صغيرتين تحدقان فيها. كبر هلعها فالتصقت بفولكنر فزعة وقالت:

ـ يا الهي!

جذبها اليه. تدفق الدم في وجنتيها. خفق قلبها. ابتسم وقال:

ـ انها احدى السحليات الرملية المعروفة في هذا المكان.

ثم ضحك فاصطدمت انفاسه بأنفاسها. ابعدت رأسها عنه وحدقت في كتفيه العريضتين، داعب شعرها قائلاً:

ـ هذا الشعر وحده كاف لافقاد الرجل صوابه.

ـ انا آسفة اذا تصرفت تصرفاً احمق.

ـ يعجبني فيك انك تتكلمين كرجل مسن.
خطت نحو النار الموقدة غير بعيد وقالت:
ـ اقول هذا عنك يا سيد فولكنر. ثقتك في نفسك لا تتزعزع.
ـ انه الحظ.
قالت محاولة اختصار الحديث:
ـ انها ايضاً طريقة تصرفك.
ـ عادة، نعم.
الصوت الجذاب، النبرة المازحة، والشخص نفسه، يحصون انفاسها. قالت لتحسم الحديث:
ـ فلتذهب الى الجحيم.
ترك الكلمات تنساب من شفتيه ببطء وهو يجيب:
ـ اللياقة من شيمك يا آنسة كرينوود. يجب ان ترتاحي الآن بعد هذا اليوم المرهق.
حركت رأسها بالموافقة دون ان تقاوم:
ـ صوت الحاكم الآمر. انت تهوى مراقبة الناس.
ابتسم ثم:
ـ صعب اليس كذلك؟ ثم لماذا لا تفعلي كصديقك الذي يغط في نوم عميق.
ـ طبعاً سأفعل.
لقد جرح كبرياءها. حاولت ان تتجاوزه لتذهب فترتاح، لكنه قبض على كتفها وقال:

ـ هذا سوء ادب.
افزعها ايقافه لها. سألت:
ـ ماذا في الأمر؟
ـ ستسير الأمور من حسن الى احسن اذا تطورت علاقتنا الى صداقة.
التفتت اليه، وردت:
ـ لا اوافقك في هذا.
ـ بل توافقينني بكل جوارحك.
كان صوته مملوءاً ثقة في نفسه، متأكداً من استنتاجه. تفادت نظراته وهزت كتفيها بلا مبالاة:
ـ اعرف انك الرجل الذي يدرك كل شيء.
مسحها بنظرة وقال:
ـ منطق المرأة هذا. ثم لماذا ترتعشين هكذا؟ ثقي في ان نواياي طيبة.
كان صوته جزءاً من سحر الليل. تلاحقت انفاسها، وعدلت عن الذهاب. فقال فولكنر:
ـ اتساءل من منا سينتصر.
ردت بيري، محاولة التخلص من ارتعاشتها:
ـ لقد قررت اللحظة ان لا اجعل منها حرباً.
ـ كلام معقول، لا يصدر الا عن الحكماء.
اغاظتها لهجته. وبدت قمراً تحت ضوء القمر. لم تفته ملاحظة روعتها:

ـ جذابة. الجمال يعذب ويكافيء. الجمال قوة فظيعة، وانت جميلة...

قاطعته:

ـ لا داعي لمثل هذا الكلام. لقد قررت منذ البداية ان استغني عن كل تعاطف محتمل.

ضحك عالياً:

ـ قررت. الا تعلمين ان الرجل يركض وراء الاشياء المستحيلة برغبة جنونية.

شعرت بحالة تعتريها، كأن الحالة انجذاب اليه، قالت:

ـ لعل تأثير الشمس المحرقة جعلني اهذي.

ـ السبب هو الدخول في هذا الحوار. العبي اوراقك كلها الآن، وسأعطيك غطاءك..

ـ لقد تعبت جداً.

اطلق ابتسامة للنظرة المعدنية التي كانت تشع من عينيها:

ـ لا سبب لادعاء التعب. لنكن صريحين ولنرفع كل حاجز بيننا.

اسبلت جفنيها. قاومت ارتجافة في فمها. انه متعب. خطا نحوها خطوات وكيس النوم في يده. فتحه. سواه. مده لها، وقال:

ـ يكفي ان يصل اول عواء الى سمعك في هذا الخلاء لترتمي في حضني.

ـ حلمك هذا لن يتحقق.

ـ لا تكوني واثقة من نفسك اكثر من اللازم. لقد حدث هذا مرة قبل سقوط الليل. اني اقرأ الدعوة في عينيك.

ـ اقرأ ما شئت.

رهت وهي تتأهب للنوم. عيناه تجوبانها في حركاتها. ابتسامته الساخرة نابتة على شفتيه. قال:

ـ انا لا احب ان اخلق لك مشكلة مع صديقك.

ـ انه ليس صديقي.

بحدة، بصرامة، نفت بيري علاقتها بمارك.

دفعها الى الوراء. رفضت حركته. وحاولت ان تبعده عنها بيدها، فقبض على يدها، ثم افرد كفها محاولاً قراءته:

ـ لقد نجحت في ان تحبيني. هل اقرأ طالعك؟

ـ لا لن تستطيع..

حاولت ان تتملص من قبضته دون ان تنجح، فغرست اظافرها في يده. قطب جبينه بالاصرار الساخر نفسه، وقال:

ـ حسناً، من الأشياء التي تؤلمني هي الصورة التي ترسمينها لي في دماغك. وما علي الا ان اقول لك، ليلة سعيدة.

قرأ الاهتمام في نظرتها وابتسم:

ـ ارى انه من المستحيل ان اروق لهذا الجمال الأخاذ.

هزت رأسها بشكل يوحي انها فهمت ما يدور في خلده:

ـ لا يمكن ان تكون جاداً. سأقول لك بصراحة يا سيد فولكنر انك الشخص الذي يحتاج لأن تقال له اشياء كثيرة فيجب الا يشبع قولي الغثيان لديك.

ـ هل هذا كل ما تريدين قوله؟

ـ نعم.

انفاسها تتلاحق. الصورة شحبت.

ـ انت اذكى مما كنت اتصور. تعلمي يا صغيرتي. انت ضيفتي. اذن، غالية كجوهرة. زمن الحيف ان اغيظك. لو انك فقط تستطيعين ان تقسمي انك لن تحلمي بي هذه الليلة.

اتكأت على مرفقيها واجابت:

ـ الكوابيس ليست جديدة علي، يا سيد فولكنر.

ـ ماذا حثك على هذا القول؟

سألها وخلف السؤال المهموس تفوذ رجل كوورين الأول. قادها شيء ما الى ان ترفع بصرها اليه. تغير مغزى اللالامح التي حلها وجهها. لاحظ ذلك فابتسم:

ـ ليلة سعيدة يا آنسة كرينوود. سأتركك الآن على امل ان تغيري نظرتك الي.

ـ لا اعتقد يا سيد فولكنر. لكني لن انزعج، فطريقتك في معاملة النساء مهذبة.

ـ على الأقل تعلمت مني شيئاً جديراً بأن يعرف.

مسحت وجهه بنظرات تتسع كلما امعنت في التحديق فيه. تبادلا حواراً مليئاً بالعتاب، والايحاءات الذكية، ثم تركها وذهب. شعرت انها سعيدة، واستلقت على جانبها من جديد. عبر ألسنة النار المشتعلة غير بعيد، ظلت تمعن النظر في قامته المتناسقة. لن تغير فيه رأيها. لكنها رغم ذلك وجدت في هذا

اللقاء لذة غريبة. حالمة، اغمضت عينيها على صورة الفتنة الطاغية لدى كراي فولكنر. هي في حاجة الى قوة سحرية لحمايتها منه. كان اريج يوقع لحناً متوحشاً ساحراً، عبر الشجيرات في هذا البلد المتوحش الاسطوري.

تعالت شمس الصباح معلنة عن يوم مشرق جميل. الأرض تمتد متحدية البصر، تنعشها اصوات ورؤ ية طيور تحلق بين الفينة والأخرى. ولها علاقة عشرة مع الحرارة. نور عجيب يتدفق على المكان. امامهم وخلفهم ومن كل جانب اخاديد رملية تحيط ببنايات قديمة تبدو في الافق.

ملأت بيري رئتيها هواء نقياً، منعشاً، وحاراً ايضاً. اغمضت عينيها ثم فتحتهما. الى جانبها، فولكنر يقود السيارة في اقصى سرعة ممكنة. ثقته في نفسه تبدو لها في تصاعد متزايد. عجلات السيارة تترك وراءها سحباً من الغبار. عبر النافذة نظرت بيري الى الافق. احست في هذه اللحظة ان لحياتها طعماً جديداً. قالت:

ـ اتعرف اني بدأت ادرك لماذا يرفض الناس الابتعاد عن هذه الأرض؟ الهدوء والاتساع، الشاعرية، النور الحالم السحري. كل شيء يبدو مضيئاً، حتى الصخور. والطيور هنا مدهشة، اليس كذلك؟ لقد سمعت عن هذا وها انا اراه. انها جنة الفنان. انا سعيدة وسعادتي لا ضفاف لها.

التفت اليها مبتسماً:

ـ انت تشعرين بعالم آخر غير عالمك. كل ما ذكرت، وهذا

النور الحالم، ات من عينيك، من سحرك، من شعرك.
لكزها مارك في كتفيها وقال لها:
- سرورك هنا يبدو واضحاً.
التفتت اليه وسألته ساخرة:
- أأمضيت ليلة متعبة؟
- بل نمت نوماً عميقاً.
سأل فولكنر بيري:
- وانت؟
- في سلام تام. وهدوء كنجوم الصحراء، حتى اني لم احلم.
ردت اليه النظرة المتكلسة التي صحبت سؤاله. ضحك ضحكة قصيرة، ولم يقل شيئاً. سألته:
- هل ما زلنا بعيدين عن...؟
- سنصل حوالى الساعة الحادية عشرة. لماذا هذا السؤال؟
- لا شيء، فقط اود لو استمرت الرحلة دائماً، دون توقف. لست ادري ما بي، ولكني مفتونة بالمكان.
خلفها كان مارك يتميز بالغيظ، ثم تدخل:
- انا متأكد من ان الاستاذ قلق الآن على تأخرنا.
- هذا اكيد.
- هل تذهب للصيد يا مارك؟
سأل فولكنر، واضاف:
- يمكنك ان تتسلى في كورين كما تشاء. لدينا الكثير من المسليات، آخذكما لنزهة على الجياد.

قالت بيري مستجدية:

- اريد ان ارى كل ما يمكن ان اراه هنا. ارجو الا تحصي خطواتنا يا سيد فولكنر.

- ولماذا افعل؟ سؤالك هذا ساذج.

غاصت عيناه الزرقاوتان في عينيها بينما اكد مارك ملاحظة فولكنر:

- بالتأكيد.

تثاءبت بيري وخنقت غيظها.

- يا الهي اغثني، ها هو يعود لسخافاته.

تكلم فولكنر ليضع نقطة على حرف ما:

- بيري، لا استطيع ان ادعك تفعلين ما تشائين. انت في كورين تحت رعايتي، وانا المسؤول عنك. هذه الأرض واسعة جداً، وفتاة مثلك، رغم كونك تملكين من الشجاعة وحب المغامرة ما تملكين، تجب حمايتها. اينما ذهبت لن تكوني وحيدة.

صرخت في وجهه:

- لماذا كل هذا الخناق؟

- يجب الا يخدعك الهدوء السائد في هذه الأرض. ضياعك في دغل، في اخدود رملي، لن يكون تجربة مريحة لك. انا لا احاول ان ابعث فيك الخوف، لكن هذا هو الواقع.

قالت وقد تزاحمت الكلمات المستنكرة في حلقها:

- أنا لا افهمك.

وافقها على استنتاجها وقال:

ـ بل انت الآن تتعلمين. على يسارك قطيع يتحرك، يضم اكثر من الف رأس. هذه الضيعة تضم احسن ابقار العالم. والسر في هذا هو الانهار الثلاثة. ديا مانتينا، كوبر وجورجيا. انهار هادئة وجامحة.

ـ انت تحب هذه الأرض، أليس كذلك؟
حدقت في يديه وهما تتعاملان مع المقود في دراية، قال:
ـ الرجل سيد نفسه، يقول القدماء.
ـ استطيع ان افهم هذا.
التفت نحوها من جديد وقال:
ـ لقد بدأنا نتآلف واخشى الا يستمر هذا.
ـ لي طريقتي في احترام من هم اكبر مني سناً.
ضحك نصف ضحكة:
ـ اريد ان اعرف كيف.
نظرت اليه وابتسمت، قال ضاحكاً:
ـ لا داعي لممارسة السحر علي يا عزيزتي.
تتبع مارك الحديث وقد انحنى قليلاً نحو مضيفه ووضع خده على يديها:
ـ انها ساحرة فعلاً يا سيد فولكنر، وهي تستمر في ممارسة اغراءاتها كلما استطاعت الى ذلك سبيلاً. اسألني انا عنها.
تصاعد الدم ساخناً ليتدفق على خدي بيري:
ـ انا لا احب شخصاً ذكياً مثلك يا مارك.

- انا امزح يا عزيزتي. كل واحد منا يعرف وداعتك.
بصوت هادىء قال فولكنر:
- لكما علاقة خاصة، دائماً في خصام. الا تستطيعان ان تتصالحا بشكل او بآخر؟ انا اتطوع لاصلاح ذات البين بينكما بكل سرور.
اشتعلت نظرة بيري غضباً:
- من الأحسن ان تبقى بعيداً عن هذا يا سيد فولكنر. الخطر كبير جداً.
تلقى كلامها بابتسامة تحمل ملامح سخريته المعهودة، وقال:
- ارتعش لمجرد التفكير في ما ينتظرني.
مارك لم يدع الحديث ينتهي:
- بيري تتصرف وكأني جرح على جبينها الأيمن.
- هل هذا صحيح؟
سأل فولكنر محتفظاً بالابتسامة نفسها.
- لا. كنا نجلس في مقعد واحد في روض الأطفال، وامه هي ام احسن صديق لدي.
مسحها فولكنر بنظرة مرتاحاً لردها. فأضافت:
- لا شيء يؤلم اكثر من ان ترى الفتاة خطيبها ما زال في المهد. على كل افضل رجلاً اكبر سناً.
رد مارك:
- انا لا اشك في ذلك.

جفت شفتا بيري فبللتهما بتمريرة مثيرة من لسانها، وقررت ان تغير موضوع الحديث:

ـ العم سيثيره ما سنجد في كورين. انا اغبطك يا سيد فولكنر على هذا الارث الوطني المهم الموجود على ارضك.

شعر بايحاء خاص ينبعث من هذه الكلمات. اشعرها بذلك:

ـ وصلني الخطاب. قرأت ما وراء الكلمات.

ـ لم اقصد ايحاء ولا خطاباً وراء الكلمات.

رد بلهجة جافة:

ـ طبعاً. على كل حال سامكن عمك من التنقيب في الكهوف التي لم يسبق ان نقب احد فيها. منذ طفولتي وحتى شبابي عشت كراع ابقار، وجبت التلال، بحثت في كل الآثار المقدسة لسنوات طويلة. طفت كورين كلها. كانت تأخذ كل اهتمامي. اعتقد ان دراستكم للسكان الاصليين وفنانينا الأوائل، ولنحوتهم ورسومهم، ستقول لكم انهم كانوا يبدعون لأنهم كانوا يأخذون غن هذه النحوت والرسوم. او لان قبائلهم كانت تجبرهم على القيام بهذه الاعمال الفنية. لكل قبيلة رؤ اها الخاصة عن التعبير الجمالي، وهذا يبدو في الاهازيج والرقصات. عمك مثلاً متخصص في اقوام بيتجاجو، شعرهم الاشقر فريد من نوعه. السكان الاصليون هنا تختلف طباعهم. القليل منهم كان يعيش في المراعي، واغلبهم كانوا عمالاً في هذه المحطة. ولسنوات شاهدت الكثير من ابداعاتهم

الفنية، واكبر مركز في القارة لهذه الأعمال هو ارض الجنوب.

- لقد حدثنا العم عن الممرات في مساحة نهر اونبيلي ليفربول. لا يمكن الدخول اليها في وقت المطر. اليس كذلك؟

- بلى، الكهوف هناك رائعة مليئة بالمخلوقات الاسطورية. وهناك ايضاً العديد من الأماكن عبر القارة ما زالت تنتظر التنقيب. اعتقد ان ما في كورين في غاية الأهمية، وعملك عليه ان يبحث ليكتشف التحديد الزمني لما سيعثر عليه.

- اتمنى ذلك. انه يعيش من اجل هذا.

- وانت من اجل ماذا تعيشين يا آنسة كرينوود. أليس كافياً ان تكوني شابة ممتلئة حيوية؟

استمرت اللاندروفر تطوي الرمال تحتها طياً. وبيري خلف الزجاج تتأمل ما ترى. ضفة مجرى النهر الذي تعبره السيارة احاطت بها احجار بيضاء وكأنها وضعت بعناية فائقة على شكل دوائر واسعة. سألت:

- هذا نوع من الرموز؟

- نعم، نحن الآن نعبر مكان الأرواح الشريرة. هذا عمل انكارتا الحكيم، احد سحرة العهود القديمة. هو اكبر شخص في قبيلة الىليغانك. قال والدي ان انكارتا كان احد رجال الكردايتشا الشهيرين.

بدأ الاهتمام يظهر على وجه بيري التي قالت:

- القبيلة التي قامت بغزوات انتقامية خطيرة في القديم، اليس كذلك؟ لا شك في انه مسن.

ـ نعم، انه الرعب العجوز. فقد بأسه وبطشه هذه الأيام، وذهبت سطوته.

سأل مارك:

ـ الا يجوب هذه الأماكن حاملاً عظماً مشيراً به الى اي شخص يراه؟

تجهم وجه فولكنر، وقال:

ـ لا تتهكم يا ولدي، لا يفهم اوروبي في مثل هذه الأمور. والذي له تجربة في هذا المجال يعطيها حقها من الاعتبار. في ايام والدي، اشار الحكيم لاحد رجال والدي الاقوياء بعظم. وفي ليلة اخذ حصانه وتاه في هذه الصحراء حتى مات. واستطيع ان اطلعك على المكان الذي وجدوا فيه جثته، بعد اقل من يومين على غيابه. العظم الموجه الى شخص ما من الانواع التي اشتهرت بها القبائل. والضحية تنجذب روحه الى داخل العظم. قبيلة كراديتشا تستعمل نعالها من ريش طائر ممسوح بالدم ومرتق بالشعر. اقتنع والدي بذلك عندما علم ان انكارتا سحق اصابع قدميه ليدخلهما في نعل القبيلة.

ـ لا شك انه يمشي ببطء، هذا الشيخ.

قالت بيري وقد بدا عليها التأثر بما سمعت. الأساطير تشدها اليها.

ـ اني احرسه، قال فولكنر، انه يقيم طقوسه في مكان ما من هذه الأرض. ليست لدي الرغبة في تحطيم نفوذه. وقد سقط بعض عمالي تحت تأثيره لكنهم ظلوا محتفظين بلطفهم،

وخجلهم، وهذا هو الطبع الأصلي للسكان الأصليين. هنا في كورين نتمتع بعلاقة طيبة، وانا احرص على ابقائها. لن نحرمهم مما تبقى من طقوسهم. يجب ان اعترف ان انكارتا محارب قديم رائع.

ـ هل نستطيع ان نراه؟

قالت بيري باستجداء. فرد فولكنر:

ـ لا وقت لديه للنساء. ان له حريمه الخاص.

قال مارك:

ـ هذا المارد العجوز الشبق.

ـ انه لا يفكر بهذه الطريقة. لو لاحظت طريقة عيشه وعيش قبيلته لانسجمت مع اهازيجهم ورقصهم. اغانيهم جميلة ومعبرة. اغاني تترجى الأمطار. اغاني الحب. اغاني وجدانية. والرمز عندهم غني جداً. حركات بالأيادي والأقدام على درجة كبيرة من التعقيد والفتنة ايضاً. الأصليون من اعظم الراقصين في العالم.

ـ احب ان ارى ذلك.

ـ اعرف انك تحبين ان تري ذلك. في عالم هؤلاء الرجال قوة لا تناقش. سمو مقام وسلطة.

ـ والمرأة، كيف تتصرف. لها تجربتها وثقافتها هي الأخرى؟

ـ النساء في العالم لا يأتين الا بالمشاكل. انا اتكلم بشكل عام.

قال ونظرته تبتسم.

ـ طبعاً، فأنا لا اريد ان العب دور المناضلة الآن.
ـ ليس في هذا المكان.
ـ في عالم الرجال.
ـ نعم، عالم الرجال في السراء والضراء.
ـ اذن انت لست متزوجاً يا سيد فولكنر؟
ـ الم تكوني تعلمين هذا؟
ـ بل كنت اعلم، ولم افاجأ. لا استطيع رؤية رجل مثلك يسلم بسهولة بامتيازات العزوبة.
ـ وكيف تجدينني يا آنسة كرينوود؟ قولي فآراؤك صائبة وفيها من الجديد ما يفيد.
ـ ارجوك لا تشغل دماغي من جديد. يكفي اني قابلت الرجل الأول في كورين، صاحب كل شيء.
توقفت نظرته عليها دون كلمة. ثم زاغ ببصره عنها. ان تصارع فولكنر عملية خاسرة سلفاً. اسدلت رموشها الطويلة:
ـ انا آسفة، لا تؤاخذني. انت اغضبتني. وفي حالة غضبي لا اعي ما اقول.
ـ لديك من الوقت ما يكفي لتستفيدي من بعض الدروس.
والقى نظرة متفحصة على ملامحها المترددة. واردف:
ـ هذا الشباب المجرد من كل سلاح.

ـ كنت اعلم اننا سندخل مصيدة، وعلي ان اتأكد من موطىء قدمي قبل ان اخطو خطوة واحدة.

ـ رغم ان الكل يقول ان للمرأة لساناً لاذعاً في فمها، فلا يغني هذا القول عن التجربة.

اطلقت صرخة صغيرة في حين ارتسمت على شفتيه ابتسامة اظهرت اسنانه الصغيرة البيضاء.

اعتدل مارك في جلسته واشار بأصبعه الى ناحية ما. وسأل:

ـ هناك ارى اشياء قد تكون ذات اهمية. لعلها سكنى القدماء.

اجاب فولكنر وقد وافق بحركة من رأسه على قول مارك:

ـ على يمينك يا بيري. دوربا الهيكل البدائي، معبد للقدماء في اورنكا. كل الأعراف والقوانين كانت تخرج من هناك. هذا المكان المقدس لدى القبائل صدرت منه العقوبات ونظم الحياة.

ـ هل نستطيع ان نزوره؟

ـ ولم لا؟

بعد لحظة كانوا يمشون عبر الممرات الحجرية. المكان هادىء. خال. ساحر. والى جانب بيري تمتد قامة فولكنر ووجهه النحيف. ابتسم لعينيها الواسعتين الحالمتين:

ـ هذه الأماكن مليئة بالكائنات. الأصليون يعتبرون ان الموتى فقط لهم بيوت. انهم يسكنون في كل شجيرة، كل جذع ميت، كل تل، كل صخرة، في كل مكان من هذه الأرض المقدسة كورين. هيا بنا، سأريكها.

اخذها من يدها وتبعته. كان مارك وراءهما. دخل بهما مغارة

منحوتة، عميقة. عالم جديد، ساحر.

- هنا ولد الزمن. بعيداً عن حدود حضارة البيض.

تشبثت بذراع فولكنر وامعنت في التحديق في النحوت والحفريات الرائعة وقالت:

- انها رسوم، انها وجوه آدمية، اليس كذلك؟

ادارت رأسها وعلامة الاندهاش على وجهها. الأراضي المعشوشبة تترامى من كل الجهات. تنتشر في الأفق. لم تستطع للحظة ان تزيح بصرها عنه. شيء في عمق عينيه قيدها اليه. احست بالسحر ينبعث من نظراته. حدق فيها فولكنر بعينين يملؤهما حب الاستطلاع.

- لقد سقطت بكل سهولة تحت تأثير سحر هذه الأرض. انه خطئي.

- انت الذي تلوم نفسك اما انا فلا الومك.

ردت عليه بنبرة ذكية، طاردة الحلم الذي كان يلفها قبل لحظة.

- نعم انا الذي الوم نفسي.

وابتعد بصره عنها ليحدق في وجه منحوت من الصخر، ثم انطلق صوته الساحر منساباً يشد اليه جوارح بيري كلها. لم تستطع ان تنزع نظرتها عنه. ادرك افتتانها به.

- اتريدان ان تريا انكارتا؟ حسناً، انه هناك فوق رأسيكما. ارفعا بصركما. المشهد الآن استوفى مضمونه.

اطلق مارك صوتاً مخنوقاً:

ـ يا الهي!

تقلص حاجباه الكثيفان وشد على يد بيري وكأنه يطلب النجدة منها.

صمت.

ـ هناك، فوق اعلى الصخرة. انه النسر الذي لا ينهزم. القوي دائماً.

ارتعدت بيري، وابتلعت ريقها بسرعة كي تعيد اليها نفسها الهارب امام جلال المشهد.

ـ اعتقد انه كان يراقبنا وينتظرنا. اشعر بهذا في اعماقي. نظرة تجعل رأسي يدور. افهم الآن لماذا يمرض ضحاياه حتى الموت.

ـ مدهش، اليس كذلك؟

همس مارك الذي الف، ان يلقي تعقيباً على كل كلمة اندهاش من بيري. لكنه كان مفتوناً وخائفاً امام شيخ كردايتشا. هذا الوجه العجيب. لقد غرس حرباته الثلاث في الأرض. علامة السلام.

ـ انا سعيد بمقابلة الرئيس الكبير. ساحرنا يبدو كمتسكع، نستطيع الآن ان نصدق الحكايات التي حيكت حول الموت الطقوسي. الغريب في الأمر اني استطيع طرحه ارضاً بدفعة من اصبعي. انه مجرد كيس عظام بالية. لكن لن اجرؤ. هل سبق ان رأيتما عينين يقظتين مثل عينيه؟ الا تعتقدان اننا في ارضه؟ اذا كنا فعلاً في ارضه فأنا افضل ان نعود من حيث اتينا.

اطبقت بيري على يد مارك، وهمست:

- تلك العلامات على صدره فظيعة. يا الهي ! ما لك ترتعد يا مارك؟

- ارتعد يا عزيزتي، نعم، ولست اخجل من قولها. انه هذا الرجل الخارق. هذا الرجل الذي مارس السحر الأسود وفعاليته تستمر منذ آلاف السنين، لا تنسي هذا.

ظلت عيناها تحدقان في آثار الجرح الغائر على صدر العجوز، والشريط الدائري الذي يحيط به رأسه، والجسد شبه العاري والكيس المتدلي من عنقه والذي يضم عظاماً ثمينة. تبادل الرجل الابيض كلمات مع العجوز. كان صوت العجوز واهياً، ضعيفاً، وعاد فولكنر الى ضيفيه قائلاً:

- لا تتكلما. فالرعب على وجهيكما. اتساءل بماذا ستشعران لو كان يرتدي ثياب وعقاقير حفل من حفلاته الطقوسية. شكله يكون اغرب واكثر اثارة للخوف من الآن. جلد الأفاعي، صباغة، طلاء بالدم والطين و. . .

- كفى !

رجته بيري ان يتوقف عن الوصف، واحست بالشمس تتدفق داخل دماغها، فوقها كان انكارتا صامتاً، غائباً، كشبح. ضحك فولكنر وربت على كتفيها ثم قال:

- ما دمت معي، فلا داعي للخوف. لا تتركي نفوذ القدماء واسماءهم المقدسة تستولي على عقلك. انكارتا ممثل بالفطرة، بارع، وقد راقبنا لمدة قبل ان ترياه.

ـ اكنت تعرف؟
سأل مارك.
ـ طبعاً. لا بأس من ان ندعه يعتقد ان حضوره ظل غائباً عن ادراكنا. لو كان ذلك في ايام شبابه لحدث العكس. هو الآن عجوز. الأمر الذي يجب ان تتذكراه دائماً هو ان لا تبديا خوفاً وارتباكاً امامه. حاولا ان تبدوا طبيعيين جداً.
قال مارك:
ـ حسناً. انه مجرد كيس من العظام البالية على اية حال.
ـ نعم هذا ما يبدو لك. لكن قدرته التأثيرية على العقل ما زالت قوية، يجب ان تقر بهذا. وهذا شيء غير معتاد لدينا.
ابتسمت بيري. ما زالت تحت ضغط الارتعاشة التي بعثها فيها مشهد انكارتا.
ـ رأسي يدور.
ـ تبدين كالمخدرة. التأثير النفسي واضح. الى جانب هذا انت جائعة.
امتدت يده اليها ورد الشعر المتساقط على وجهها الى الخلف، واضاف:
ـ في كورين، ايتها العزيزة، يجب ان ترتدي قبعة، افهمت؟
ـ نعم يا سيد فولكنر، سيكون لك ما تريد.
ـ هيا بنا الآن.
تمايلت في خطاها. كانت على وشك السقوط. اسندها عليه وقال بصوت زاد من حيرتها:

ـ اتعلمين. انا متأكد من انك مخلوق انفعالي بشكل عجيب.

انفاسها تتلاحق. مارك يتهكم. فولكنر مركز القوة والفتنة، كيف ستقاوم كل هذا؟

٣ - في قصر فولكنر الجميل . . . حيث سيمضون اكثر من شهر . . . شهر يمثل خطراً كبيراً بالنسبة الى بيري .

كورين مدينة مصغرة. مركز لبنايات شملت مساحة كبيرة من هذه الأرض الوعرة، محاطة بالاشجار والمساحات الخضراء. رمز للتناسق والجمال. سلطة موروثة عبر خمسة اجيال.

شعرت بيري وكأنها تخطو خطوات من زمن مفرط في التقدم والعصرية، الى العصور الأولى الزاخرة بنفوذ الزخرفات المعمارية. كان مارك خلفها يجلس في مقعد السيارة الخلفي وقد اخرسه الذهول لمرأى قصر فولكنر. لمعت عينا بيري وقالت:

ـ القصر جميل يا سيد فولكنر، لقد احببته من النظرة الأولى.

تلقى مجاملتها بشيء من السخرية، وطافت عيناه بوجهها

الجميل، ثم بشعرها اللامع الذهبي:

ـ هذا القصر يا آنسة كرينوود يحتل في تاريخنا المكانة التي يحتلها القصر الانكليزي. نحمل له كلنا هنا شعوراً موحداً.

ـ انه يملأ الانسان زهواً.

آه كم يصعب عليها الهروب من نظراته الزرقاء، قال:

ـ يجب ان تقبليني كما انا ايتها الفاتنة الصغيرة.

ـ نعم، معك حق.

ـ ارى انه من الصعب عليك ان تبقي خارج دائرة المشاكل. للقصر خاصيات سترينها حين يكون لدي الوقت لاطلاعك عليها. لم ندخر مالاً ولا جهداً ليكون القصر على هذه الحال. غير والدي بعضاً من ملامحه وغيرت بدوري بعضاً آخر منها. كورين بيتنا المحبوب جميعاً، لا احد ولا شيء يجعلني اغادرها.

الصدق يلمع في نظراته. سألت بيري:

ـ انها الحمى في الدم؟

ـ شيء من هذا القبيل، افهمت؟

ـ ولم لا؟ لكل منا حساسية خاصة امام منزل جميل. انا الاخرى قد يكون لي في يوم من الأيام بيت.

ـ لا اشك في عزيمتك. اعتدادك بنفسك تحسدين عليه ايتها الانثى.

ـ لعلها نتيجة لمصادفة سعيدة. لماذا تعتقد ان المرأة تستطيع ان تحصل على ما تريد يا سيد فولكنر؟

ـ هل ارى احداً يمنعك من الحصول على ما تريدين؟

ـ هذا حوار من نوع خاص.

ـ بالتأكيد. لكن الحياة مليئة بالمفاجئات ولا تستطيعين تحقيق ما تصبين اليه في يوم واحد.

اعادها هذا التنبيه الى الواقع.

ـ لم اكن اصدق هذا من قبل.

ـ والآن، اتعتقدين انك تستطيعين؟

عاد يغرس نظرته الزرقاء في عينيها وضحك. تتلاشى دائماً قوتها امام هذه النظرة. اعصابها تخضع لمفعول النظرة، احساسها يخضع ايضاً، لا عقلها. اطلقت تنهيدة.

ـ تستطيعين اذا اردت ايتها المتوحشة. ولكني لا استطيع ان ادعك تذهبين ضحية احكامك. لا تكوني غبية.

ـ انا في كامل قواي العقلية، تماماً كما انت.

ـ كنت اعتقد هذا حتى اللحظة.

ـ ذهب اعتقادك الآن؟

ـ نعم اذهبته انت، واعلمي اني لا امارس بيع الأبرياء بالجملة.

ـ اوه. كان علي ان اعي ان لديك طريقة خاصة لممارسة البطش.

ـ احب الصفاء والبراءة يا آنسة كرينوود.

ـ هذا حسن...

قاطعها:

ـ في موضعها. واكره ان تتلاعب بي امرأة، اكره ان ادع

المرأة تخطو خطوة في غير محلها، افهمت؟ هكذا انا.

تركت الهواء يدخل الى رئتيها ثم قالت:

ـ وهل تلاعبت بك انا؟

ـ نعم.

القت عليه نظرة سريعة وقد اربكتها لهجته. ابتسم ودخل باللاندروفر الى ممر مليء بالاحجار الصغيرة التي انضغطت واحدثت خشخشات تحت عجلاتها الثقيلة. وطافت عيناها بحديقة القصر. ابتسمت له بجهد وقد ادركت مرة اخرى انه يفتنها.

ـ ما زلت احب بيتك. اعجابي به يزداد كل لحظة.

ـ لقد ساهم هذا المنزل في قبولي من طرف الجنس الآخر.

ـ اراهن على ان المجاملات تتدفق عليك.

الحديث يدور بين بيري وفولكنر، ومارك في المقعد الخلفي يتمزق بين شعوره بالتهميش وبين اللياقة التي تقتضي منه كضيف، ان لا يعاتبهما على تفردهما بالحوار. وللخروج من هذه القوقعة، قال:

ـ البنايات الخاصة متصلة بالمنزل وبكثرة يا سيد فولكنر، ماذا هناك على اليمين؟

التفت اليه فولكنر واجاب:

ـ اسطبلات، بنيت في الوقت الذي بني فيه المنزل. ووسط الاشجار سكن رئيس الحرس جاك رايلنس. ووراءه مباشرة بيت رئيسة الخدم، السيدة تالبوت لورنا. كان زوجها رئيساً

للحرس لدى والدي. رجل طيب ولطيف جداً، لقي حتفه في احد الحوادث النزقة التي تقع في كورين. كانت للورنا طفلة صغيرة. ولم يكن يمكنها ان تذهب الى اي مكان، فبقيت هنا معنا ولم تندم يوماً على بقائها. سيدة في مستوى مهمتها ووجودها في البيت اكثر من ضروري.

سالت بيري:

- والطفلة الصغيرة؟

- ليست صغيرة كما تتصورين. انها الآن في الرابعة والعشرين من عمرها. كيم تالبوت ربما سمعت عنها. تجيد ركوب الخيل. فتاة يمكن ان توضع فيها الثقة بسهولة. وهدوؤها في اللحظات الحرجة مثير للدهشة.

تصورت بيري هذه الفتاة انيقة، جذابة، فارسة، وقاسية، فابتسمت. والنظرة الزرقاء لفولكنر تعود من جديد لتستأثر عليها. النظرة المثيرة تتبعها كلماته الصادرة عن صوت جهوري يأخذ بمجامعها.

- ستكتشفين ان ركوب الخيل ليس فناً قاتلاً. عندنا تمارس رياضة البولو، وسباق الخيل، وترويض الجياد الوحشية. وعدد من العاملين هنا والرعاة يملكون من الحمق ما يكفي للدخول في مغامرات ورهانات حول ركوب اصعب انواع الجياد عندنا، وكيم احداهم وافضلهم. ستفيدك كثيراً، لكي تحسني طريقة ركوبك الخيل. وانت محتاجة الى التمرين كل يوم على ركوب الخيل.

- انا هنا لأعمل يا سيد فولكنر.

حاولت ان تبدو جادة وهي تتكلم، لكن فولكنر حرك حاجبيه الكثيفين دون ان يبدو عليه ادنى تأثر بملاحظتها، وقال:

- انا متأكد تماماً من هذا. لكن ركوب الخيل هو الوسيلة التي تمكنك من التنقل من مكان الى آخر يا آنسة كرينوود. ويجب ان تتقني ركوب الخيل.

- ربما هناك وسيلة اخرى اسهل للتنقل.

- اؤكد لك انه لو كانت لدينا وسيلة اسهل لوضعتها رهن اشارتك. الحصان يستطيع ان يذهب الى اي مكان في هذه الأرض، سواء كان تلالاً رملية او اخاديد.

- ارى انها ستكون رحلة مشحونة بالغرائب.

- محتمل جداً. على اي حال ستلقين مشاكل.

انه يتحداها، وعليها ان تواجه هذا التحدي:

- افضل ان اقص شعري على ان اعاني من مشاكل.

وتركت نظراتها تنصرف عنه الى الاشجار مخفية انفعالها.

- ستكون تضحية كبيرة. ما ذنب هذا الشعر الذهبي الجميل؟

- لا اريد بقولي ان اضرب رجلاً يعرف كيف يرد الضربة يا سيد فولكنر.

- اثبتي ذلك اذا استطعت.

- الا تصدقني؟

عادت عيناه تمارسان سحرهما عليها. دار في خلدها ان

حواراً كهذا عقيم. كراي فولكنر رجل خطير، وفاتن. وكل الرجال من هذا النوع خطرون. لاحظ صمتها وقال:

- اضاع لسانك يا بيزي؟ لا تقلقي فانا امزح.

ابداً. فكرت وهي تحت تأثير ارتعاشة صغيرة. وانحنت الى الأمام قليلاً لتتفحص البيت الذي اصبح امامهم. رفعت يدها وشدت شعرها الى اعلى لتخفف من حدة الحرارة الخانقة الجاثمة على رقبتها.

- ما اشد الحر!

ضحك وأجاب:

- نعم، اوافقك ان الحر شديد.

كان بريق عينيه ضاحكاً، متهكماً. اوقف السيارة ونزل منها. مارك يلوم نفسه لوقوفه مكتوف الأيدي امام تحديات فولكنر. الدخول في منافسة مع الرجل امر اكبر منه. انه فولكنر، سيد الأرض ومالكها المطاع. زم شفتيه غيظاً وهو يراها تحدق في فولكنر بنظرات تحمل بريق اعجاب. انها تضحك لرؤ ية شيء ما وفولكنر ينظر اليها بنظرة تحمل معنى ما. يجب ان يعلن وجوده.

- اريد ان اشرب.

التفتت اليه ضاحكة، وكان ما قاله غريب.

- انت تمزحين، ولكني في لهفة الى شيء اشربه.

- حسناً (قال فولكنر) ماذا تريد يا مارك، شراباً بارداً؟

- ولم لا؟

حدقت فيه وسألته:

ـ اعتقد ان هناك شيئاً يضايقك.

طبعاً. فكر مارك دون ان يرد. بحثت بنظراتها الى وجهه عما يقلقه. لا امرأة تستطيع ان تحدق في وجه فولكنر بنظرة غير نظرة الاعجاب والخنوع، وهذا وخزة سامة في قلب مارك. تمنى ان يكون اطول قامة من فولكنر ولو بشكل خرافي.

ناداهما فولكنر من بعيد.

ـ تقدما. انتما الآن في عالم متحضر.

قالت بيري:

ـ هذا ما يخيفني، وانت؟

فكر مارك في هامشيته ثم جذب انتباهه مرأى امرأة واقفة في مدخل البيت، ناداها فولكنر:

ـ لورنا!

تقدمت نحوهما وهي تقول:

ـ انتظرت ان تصلوا قبل عشر دقائق.

قدم فولكنر مضيفيه للورنا. ابتسمت لورنا وتكلمت معطية اياهما انطباعاً في انها تستطيع تقييم اي رجل واية امرأة تضع رجلها في كورين. انطباع غريب. تكلم فولكنر مع لورنا عن الضيفين واقامتهما، وركز مارك نظرته على بيري. لديه احساس انها في حاجة لرعاية. وانها محتاجة الى الحماية من السيدة المشرفة على شؤون البيت الكبير. قال لبيري انها تبدو متضايقة من وجودها. استنكرت بيري ما راج في باله، لكنه اصر على

اعتقاده. حدقت فيه وقالت:

ـ حكاية مخترعة.

ـ سواء كان ما اقول مخترعاً او حقيقة، تأكدي من ان لورنا تالبوت لا تتحمل وجودك هنا. انت جميلة بشكل يثير الانتباه، وقد اثرت انتباه السيد المطاع.

تناهى الى سمعها صوت لورنا تالبوت، التفتا اليها محدقين في وجهها الطويل الأنيق، قالت مبتسمة:

ـ الاحظتما النقوش على الباب؟ انظرا اليها، انها في غاية الجمال، اليس كذلك؟

كان الباب مزيناً بنقوش لفواكه وورود. ولما دخلت بيري، ادهشها الصالون الكبير التقليدي، بسقفه المزخرف بشكل عجيب. قال مارك:

ـ قصر في الصحراء.

اضافت بيري:

ـ اتمنى ان يكون نعلاك نظيفين.

هذا البناء. هذا التجهيز. هذه الزخرفة. هذا الديكور. هذا البيت... يصعب فراقها. انها تمثل العشق المجنون لدى كراي فولكنر. الكنز المتوارث منذ جون كراي فولكنر الأول، الذي اثبت انه رجل خارق القدرات ومكتشف حقيقي.

اقترب منها فولكنر وسألها عن رأيها في المكان، فأجابت:

ـ انيق جداً. منزل كهذا له مناخه الخاص المتميز. بيت جدير بأن تتوارثه الأجيال. كثيرون هم الذين سيحسدونكم

على هذا النظام. قل لي، هل في البيت صورة لمالك البيت الأول؟

ـ نعم، هناك في الطابق العلوي، وصور لكل افراد العائلة، طبعاً كل واحد في صورة منفردة، رسمت كلها بعناية فائقة.

ـ وصورتك انت؟

ـ لا، ليس بعد.

ـ هذا تفريط لا يغتفر لك.

نظر اليها وقال:

ـ انت شاذة وقد تلقيت جزاء ما.

حدقت من جديد وقالت:

ـ انا اعتقد انه كان جميلاً كما انت الآن. اقصد جدك جون كراي فولكنر الأول.

نظرته الزرقاء عادت تتحداها، وقال:

ـ انت الآن على وشك اكتشاف اشياء مهمة.

ـ هل تستطيع ان تنكر انك تتحداني الآن؟

ـ اذا كان هذا يريحك اقول اني اشعر بالذنب.

كانت ترى الافكار التي تروج في ذهنه خلف نظرته الزرقاء. اسدلت جفنيها قائلة:

ـ صوتك سلاح خطير.

ـ ووجهك ايضاً. لا تنزعجي يا بيري، فأنا لست ليناً.

توردت وجنتاها.

ـ قد نختلف في هذا الأمر.

اقتربت منهما لورنا تالبوت. كان مارك وراءها. قالت:

- اذا سمحتما سأريكما غرفتي نومكما. انهما في جناح الضيافة. عمك مرتاح الآن في غرفته يا آنسة كرينوود. سأقول له انك هنا. وستتغدى بعد ساعة.

قالت بيري بصوت كله رقة وادب:

- انت طيبة جداً.

نظر اليها مارك واثاره طول اصابعها. كانت بيري اجمل منها واصغر منها بكثير. داهية ماكرة وذكية. بالنسبة الى مارك امرأة فريدة من نوعها. تأمل شكل لورنا تالبوت وشعرها، ملامحها، نظراتها، فمها. فكر ان هذه الملامح السلبية تخفي شيئاً ما. وامامها كانت بيري جوهرة. لم يكن جمالها وحده يعطيها هذه الصورة بل ميزاتها الأخلاقية ايضاً. تأملها مارك باعجاب. كان دائماً يتأملها باعجاب منذ سن الرابعة حين كانا في روضة الاطفال. واعجابه بها الآن ممزوج بحزن ما. تقدم نحوها. اخذها من معصمها وقال:

- تعالي ايتها الصبية، هناك عمل في انتظارنا، وعلي ان ارى الاستاذ الآن.

القت عليه لورنا نظرة متفحصة، مبتسمة. لا خطر يأتي من هؤلاء. لم تقدم لهما ابنتها حتى الآن. فكر مارك ان الأم لم تفعل لسبب ما، وفكر انه يستطيع ان يسمع افكارها وكأنها تتكلم بصوت مسموع. وراء هدوء لورنا عزم صارم وتأهب لشيء ما.

كانت بيري تنتظر، وفولكنر يراقبها من بعيد دون ان يقول شيئاً. كلمت لورنا سيدها مبتسمة وبدأت تحمل الامتعة الى فوق، فكر مارك انه لا بد من مقابلة كيم تالبوت، مروضة الجياد، التي لم تخلق لفولكنر. شعر بحنين اليها رغم انه لم يرها.

قد تصدم بيري بطبعها الوديع ورهافة احساسها. ومارك يؤلمه كونهم سيمضون في كورين اكثر من شهر في البحث والتنقيب. شهر مع فولكنر الذي يمثل خطراً كبيراً على بيري. هذا الرجل القوي الهادىء، الواثق من نفسه، من نفوذه، والمجهول التصرفات حتى الآن.

٤ ـ لحظات من الرعب والسحر المخيف وهم ينقبون عن الآثار في الكهوف. وكادت بيري تتهاوى لرؤ ية شبح، فأنقذها فولكنر الذي نظراته سحر ايضاً، لكنها لن تستسلم بسهولة.

في اليوم الثالث لوجودهم في كورين، ابتدأ فريق الاستاذ كرينوود خطواته الأولى التي تمهد لمهمتهم. ابتدأ بتفحص اولي للنحوت التي وجدها في كهف قريب من نبع ماء. متحف فطري. كان ذلك في التلال الواسعة المنسية. الصمت والجمال يوحيان بأن العالم دخل في عالم تأملات صوفية. عملت بيري ومارك دون ان يجدا لحظة واحدة للكلام. انهمكا في تفحص ما وجداه من نحوت ورسوم تحمل تعابير مختلفة من طقوس القدماء. وآثار الكونكورو والطيور منحوتة على الأحجار.

انهمك الاستاذ بدوره في تفحص قدم آدمية منحوتة على الصخر، قد تكشف هذه الآثار عن طقوس سحرية ودينية.

في المساء هطل مطر غزير، فقدت معه هذه الصحراء شيئاً من سحرها. اعطت طابعاً آخر للرمال والنباتات والسماء والزهور البرية المتناثرة على الأخاديد الرملية.

امتدت الأرض التي يعملون بها نصف ميل تقريباً، وبدت الصخور العميقة منبعثة من هذه الأرض وثابتة فيها وعليها منذ زمن طويل جداً. توقف الاستاذ عن عمله قليلاً ووجه الكلام الى مساعديه:

ـ انظرا الى هذا...

قال مارك:

ـ آثار موج البحر على الحجر؟

اجاب الاستاذ:

ـ نعم، انها ناتجة عن حركات ماء البحر الذي كان هنا ما قبل التاريخ.

انتزع جزءاً من الحجر ليتفحصه بدقة، وقال:

ـ سنجد مئات البقايا البحرية. هل تستطيعان ان تتصورا معي كبر هذه الصحراء في تلك الأزمان، وكيف ان رجل العهد الحجري استطاع ان يخلد طقوسها في اهازيجه ورقصاته المتوارثة عبر الأجيال؟ مدهش، اليس كذلك؟

ابتسم محدقاً في عيني بيري الجميلتين، بدا سعيداً:

ـ لا يتعب المرء من البحث في هذا الجمال.

قالت بيري:

ـ لكننا ما زلنا نجهل مصدر السكان الأصليين.

ـ لكن مميزاتهم الجسدية واضحة في اختلافها عن مميزات الشعوب الأخرى. نستطيع ان نتصور ان هجرتهم الأولى اتت في احدى المراحل الجليدية حين كان جسر ارضي يفصل بين آسيا واستراليا. لا حيوان استطاع ان يعبر هذا الجسر. ونستطيع ايضاً تصور ان السكان الأصليين منحدرون من نيادرتال، كالأعراق العصرية الأخرى. قبيلة أو قبيلتان ما زالتا تعيشان بطريقة مختلفة في العالم المتحضر، وما زالتا تتطوران بشكلٍ خاص. والصورة لم تكتمل بعد لدينا من ناحية تكوينهم.

القى مارك نظرة سريعة على استاذه وقال:

ـ لكنهم لا يزالون يحملون الدينكو معهم.

وافق الاستاذ على قول مساعده:

ـ نعم، فعلاً، اوافقك تماماً.

اعتدل في جلسته وأردف:

ـ فعلاً، نحن نعلم من زمن الموروندبان ان بارالو الكلب الوحشي كان صديق الرجل الأسمر ومساعده في الصيد منذ الأزمان الغابرة. لم يصلنا من اصله الضائع وسط غيوم الماضي العتيق سوى ان هذا الكلب الوحشي، ذا الرقبة الحمراء والذيل الأبيض، له طباع الذئب، لا ينبح بل يعوي وينهش ضحيته بصمت كالذئاب. وقد حكت الأجيال عنه اساطير تقول ان الدينكو هو احد ارواح قبائل الديامانتينا الشريرة. انه نذير للموت. ورجال الدينكو، تضيف الأساطير، تحرس

الفضاء. لقد لاحظت ان الفتيات العاملات في قصر فولكنر يحركن ايديهن بشكل انيق جداً، وهذا ناتج عن الرقص الطقوسي للأصليين، وأصبحت هذه الحركات فطرية. والآن الى عملكما، لقد تكلمنا ما فيه الكفاية. ستأتي كيم الينا بالغداء. وعدتنا بذلك هذه الشابة النشيطة كأمها تماماً.

اكد مارك ملاحظة الاستاذ:

- انها فعلاً نشيطة.

بعد كلمات القتها بيري تلبية لحالتها الخصامية الدائمة، انسحب مارك دون ان يرد. وبعد لحظة اطلت كيم تالبوت. عيناها تحملان نظرة والدتها ولون عينيها. وجسدها متين. كان الفرق بينها وبين بيري واضحاً. بوداعة تلقت ابتسامة بيري التي قالت:

- اهلاً بك يا كيم. قدومك الينا نبل منك عظيم.

- انا سعيدة بذلك. ثم اني كنت آتية الى هنا على اي حال.

القت نظرة لا مبالاة على مارك الذي كان يرقبها عن قرب. لم تكن رؤيتها تروق له. ثم ابتسمت للاستاذ ملقية عليه نظرة احترام وقالت:

- صبرك لا حدود له يا استاذ. انا على وشك الانتهاء من قراءة كتابك حول بيتجانتجارا. انه مدهش.

- اشكرك يا عزيزتي، ففي كلامك عزاء لي.

اجابته ونبرتها كانت صريحة:

- هذا رأيي بكل تجرد. تقول ان ماراجوسترا الأفعى

القزحية اللون نفيت الى الصحراء بسبب دهائها ومكرها (اشارت الى الرسوم على الجدار الصخري، وأضافت) هذه طيور وحيوانات نفيت هي الأخرى. كل شيء هنا مقدس يا استاذ، ما رأيك؟

- ربما يحمل كل مكان هنا اسراراً وأساطير. اتمنى العثور على مقبرة هنا.

حزكت كتفيها وقالت:

- ستجدها في كورين. في القديم، كان كينيكار الرجل القط، الرجل الاسطوري، يقتل من اجل القتل. كانت الادغال ملأى بأعضاء الرجال والنساء والأطفال الأبرياء. وجاء يوم منعوا عنه الماء، فاضطر الى المجيء الى مكان كان المحاربون ينتظرونه فيه لقتله. وأصبحت روحه هي تلك النجمة الحمراء في مدار الأوريون.

- نعم، ولكنك نسيت موبوك الرجل البوم وويلدا الرجل النسر، اللذين صنعا كل شيء. الأساطير ساحرة، اليس كذلك؟ وقد اجاد التعبير عنها في رسومه روبرت آنسلي، هل رأيت رسومه؟

اتسعت عينا كيم وردت:

- نعم فعلاً. رأيت بعض رسومه. قام روبرت بجولات عدة في البلد، ارض الرموز الغريبة. لقد رأيت صديقه انكارتا الذي كان يتحرق للقياه، منتظراً في احدى التلال مردداً اشعاره وأغانيه الطقوسية العجيبة.

قال مارك:

- ستنقرض كل هذه الأشعار، انكارتا ممثل محترف حتى لو رحل متنكراً.

ردت كيم:

- انكارتا موهوب في السحر كموهبة كراي فولكنر في التميز.

قال مارك:

- خداع!

تأملته كيم طويلاً، ساهمة، معجبة بحجم رأسه وقالت ببطء:

- كنت اعتقد انك اكثر ذكاء مما كنت اتصور.

التفت اليها وكأن شيئاً ما لدغه:

- لماذا قلت هذا؟ هل حاولت التأثير عليك أو اجتذابك الي بشكل من الأشكال؟

اصبح صوت كيم ساخراً حين قالت:

- اعتقد انك فعلاً مرتبك وتحاول اخفاء ارتباكك.

ألقت ضحكة قصيرة، وأضافت:

- لا تدع الجن العجوز يحصل على شيء من ثيابك أو شعرك، انه يستطيع ان يخلق لك الأعاجيب. صدق أو لا تصدق، السحر القديم ما زال يتمتع بنفوذه، وانكارتا فوق السحرة والحكماء.

- اذن فهو خطير بشكل خاص.

ـ ليس خطيراً علينا نحن.

لاحظ الاستاذ ان مارك تأثر بأقوال كيم، فتدخل لينقذ الموقف:

ـ كيم ارجوك، لا حاجة لاثارة الهلع لدى مساعدي. ما يجب ان نتذكره هو ان السحر كان وما زال يستعمل كنوع من الحفاظ على قواعد السلوك، ولمعاقبة من يخالف طقوس المجتمع. كل مخالفة للقانون تعتبر مساً صريحاً، والموت هو عقابه. والساحر مراقب همه المحافظة على نمط الحياة الاجتماعية.

اجاب مارك متهكماً:

ـ والضحية يحظى بمعرفة كل هذا وهو يلفظ آخر أنفاسه.

اجاب الاستاذ:

ـ الموت يتبعه بحث ونقاش طويل عميق حول الحادثة، احياناً يكون الانتقام نوعاً من القصاص العادل.

قالت بيري متعمدة اثارة غضب مارك:

ـ خاصة في ظلام الليل. لا تدع اي احد يرسم في الكهوف أو يرتدي جلوداً وريشاً يقف وراءك.

ابتسم مارك بسخرية:

ـ افضل نصيحة اخذتها من عاقل حتى الآن!

اثار رده غيظ كيم. كيم تحب الرجال الذين لا تتغير طباعهم بسهولة. وقالت:

ـ الموت بطريقة خاصة حدث خطير في هذه الأماكن، يؤثر على كل شيء، المنزل، والعاملين فيه، وكل شيء آخر. الموت

وحتميته مرتبطان بحياة الأصليين الطقوسية. والمربيات يعملن كل ما في وسعهن لضمان صحة جيدة للأطفال، رغم صعوبة هذه المهمة، خاصة مع اهل الصحراء. بعضهم لم يسبق له ان رأى الأوروبيين. نستطيع التعامل مع اهالي كورين، ولكن هناك آخرون. الموت مسألة حتمية، لكن ما يهم السكان الأصليين هو مصير الروح بعد الموت. وقد لاحظ كراي فولكنر النساء يندبن، يقتلعن شعورهن، يقمن بفظاعات يتحولن معها الى اشباح مرعبة في ندب ازواجهن. تدع القبيلة المرأة في حزنها لكن لفترة معينة. بعدها لا يذكر اسم الزوج اطلاقاً. في نواحي جورجيا يلف الميت في شبكة ويغطى بالجذوع وفروع الشجر وكل ما يملك ثم...

قاطعها مارك:

- ارجوك...

اعتذرت كيم:

- آسفة، لم اكن اعتقد انك على هذه الدرجة من الحساسية.

- انت الآن تعرفين ذلك؟

قالت بيري مبتسمة:

- في حالة كهذه، لماذا لا نتغدى خارج الكهف؟

رد عمها:

- لم لا؟ علينا ان نستريح.

ثم ابتسم وأضاف:

- اظن ان مارك سيغمى عليه.

نظرة غاضبة من مارك، تلاها تدخله:
- سآخذ سلة الغداء، ارجو ان تلحقي بنا يا آنسة تالبوت.
ابتسمت كيم شاكرة وقالت:
- ليس اليوم، يجب ان الحق بكراي.
بللت شفتيها الجافتين بريقها وودعت الجميع قائلة:
- سأراكم جميعاً في وقت لاحق.
شكرها الاستاذ بحرارة ورافقها الى خارج الكهف. القت تحية لبيري ومارك وغادرت الكهف مقاومة رغبة في الرجوع وركل مارك الذي كان يحدق فيها. بعد دقائق وصلوا الى هضبة من الهضاب المتناثرة وسط الضجيج الناتج عن هبوب الريح الذي كان يعبث بالنباتات والجذوع والغبار.
ردت بيري على دعابة من مارك:
- الآن لدينا عمل مهم: الأكل. تعال نأكل. الغداء في السلة يبدو كوليمة.
انحنت بيري. فتشت داخل السلة. وذكرت للآخرين كل ما وضع داخلها من مأكل وشراب وتوابل، وقالت:
- يبدو اننا لن نجوع في كورين.
كان الاستاذ واقفاً الى جانبها حين اجاب:
- اكثر من ذلك يا بنيتي، مناخ الصحراء يعطي حزناً شاعرياً. ما اريده الآن اكثر من اي شيء هو كأس شاي.
اتجهوا نحو ربوة رملية صغيرة يداعبها نسيم رطب. حولها بساط من الرمل اللامع، وأزهار برية جميلة.

وجدت بيري نفسها تصغي الى صفير الرمال مع هبوب ريح الجنوب الهادئة. حدقت في عمها. حاولت قراءة ملامحه المفتونة بجو الصحراء ثم سمعته يقول:

ـ في لحظات كهذه يشعر الانسان بانتعاش وبصحة لا تقدر بثمن.

وترك الهواء يدخل رئتيه بلذة.

استلقى مارك على ظهره واضعاً ذراعيه تحت رأسه، صامتاً، ثم التفت وقال:

ـ هل لديك شيء آخر للأكل؟

ـ لكي تمتلىء انت، لا بد من مضاعفة الزاد.

ـ طبعاً.

رد مارك بكسل، وهو يمد يده لتسلم قطعة من الكعك ويرميها في فمه، ثم اضاف:

ـ هذا الضوء المتدفق من الشمس رائع، رغم برودة الليل، وهذا النوع من الأراضي له طابع خاص، انه الحب المكروه.

ـ ارى ان الأرواح اعطت مفعولها.

قالت بيري ممازحة مارك، اما الاستاذ فقد اتكأ على مرفقيه ليقول:

ـ الليلة الفائتة قال كراي ان بعض اراضي المجرى النهري يسكنها ما يسمون بويلياوا، هكذا يسميهم العمال. لا يذهب هناك احد ليلاً لا من اجل المال أو الحب. والمدهش ان الجياد لا تذهب ايضاً. وماذا عليكما ان تفعلا.

قالت بيري:
- اعتقد ان كيم بامكانها ان تذهب الى هذا المكان.
اجابها مارك:
- معك حق. لكن اي فكرة هذه! فتاة ككيم لها قدرات هائلة...
قاطعته بيري وأضافت:
- وفاتنة بشكل خاص.
ادرك مارك ما ترمي اليه بيري، فقال:
- انها لا تحرك فيّ ساكناً، فقط تعجبني الأشياء الغامضة الغريبة فيها.
نهض الاستاذ ملقياً نظرة يقظة على مارك:
- حسناً، ايها الأمير الحالم، الآن عد الى الكهف، اريد رسوماً للمنطقة التي تحمل اقواساً. بيري لها عملها وأنا سآخذ صوراً عديدة.
جمعت بيري الأطباق في سلة الغداء ونهض مارك ببطء قائلاً:
- كم اتمنى ان ابقى مستلقياً، لكن العمل يضطرنا الى النهوض، ثم ان التعب الجسماني يختفي تماماً امام ما قد نعثر عليه هنا. هل تصدق فعلاً ان الشيطان العجوز انكارتا هو في مكان قريب من هنا؟
ردت بيري:
- نعم، انه خبير هذه الأراضي، يجب ان ابحث عنه في

هذه النواحي.

صرخ مارك:

- لا تفعلي ذلك. ارجوك. قد تجدين ساحراً مختفياً وراء دغل، يستعمل قدراته السحرية لاهطال المطر أو شيئاً من هذا القبيل. وسيكون علينا آنذاك أن نطلب مساعدة السيد.

فجأة حط طائر غريب على كتف بيري وضم جناحيه اليه. نظر اليه مارك ذاهلاً:

- هذه الأرض المخيفة تبدو انيسة هكذا، صدقة. ما هذا النوع؟

- نيما كونتا الطائر الجميل.

قالت بيري بصوت هامس بينما اهتز الطائر وحلق فوقهما وانصرف. في هذه اللحظة اطل الاستاذ من باب الكهف قائلاً:

- شيء من الاتزان والأدب. اؤكد لكما ان كورين ارض فاتنة. اسرع يا مارك، اننا لا نمارس هواية صغيرة. اننا نعمل من اجل الحكومة.

خطا مارك نحو الكهف مغتاظاً من اقوال الاستاذ، لكن الاستاذ عرف كيف يتصرف ليبعد الغضب عن مساعده.

انها الظهيرة. تمشت بيري نحو مدخل الكهف، وراءها كان الاستاذ ومارك خائضين في مناقشة خاصة، مشت ببطء يداخلها شعور غريب بالخوف. الشمس تضرب في عمق خصلات شعرها الذهبي. القت نظرة حول الهضاب باحثة عن وجه ما

لمحارب قديم وحكيم، رجل كوردايتشا أو انكارتا. لا شيء يبدو لها على مد البصر ولا اثر للحياة. قد يكون مختفياً يترصد خطواتها خلف التلال الرملية أو في دغل من الأدغال الوحشية. تحركت بحذر يرهقها فزع الفكرة التي تروج في رأسها. تبدت لها اشياء غريبة، وجابت سمعها اضوات افزعتها. هذه الأرض الغامضة.

التفتت وكأنها تبحث عن مصدر الصوت وتهرب منه في آن واحد. ارتعشت. كبر اضطرابها. لم تستطع ان تركض هاربة. حركت ذراعيها واخترقت اظافرها كفها.

كانت عينا انكارتا تحدق فيها غير بعيد من هناك. عينان تجردتا من رموشهما، مفتوحتان على اخرهما. القى شخيراً وقذف بحربته فانغرست في الأرض. رأس ذو شعر قاتم وكثيف، وكبرياء متوحشة تضيء الوجه. وجوده المرعب حقيقي الآن وقد اهزلته السنون القاسية. جمدها الرعب. ارتعد الجسد الرشيق تحت وطأة الحر والخوف. استندت الى حائط صخرة.

سمعت صياح عقاب ورأت عينيه تلمعان بظفر وحشي. اختفى صوتها. لم تستطع ان تصرخ. حرارة الشمس تغسل جسدها المستند الى الصخرة. والعينان العجوزتان لا تفارقانها. تذكرت فعل السحرة في مناطق اخرى من هذا النوع من الأماكن، وتعذيبهم لضحاياهم حتى الموت. ماذا يحدث لها الآن؟ انها تشعر بأجفانها تضطرب تحت ضغط الحر الخانق. لو

كان لديها شيء من الشجاعة لاندفعت وكسرت الشخير الذي يطلقه العجوز مهدداً. انكارتا، هذا العدواني لم يكن سوى عجوزاً.

عندما تناهى الى مسمعها صوت حاد آمر، آتياً من هضبة على بعد عشرين ياردة، ركض الوجه القميء واختفى. تحت الأقدام الآتية تطايرت حجيرات، وظهرت قامة طويلة تخطو في ثقة كبيرة بالنفس. تنفست بيري الصعداء. الآن نجت. تقدم نحوها:

- ايتها الحمقاء الصغيرة!

تركت رأسها يسقط على كتفه. وقالت بصوت ما زال تحت تأثير الخوف:

- لقد سحرني، وأنت الآن تريد ان تهدئني. انظر الي. اني ارتعد من اعلى رأسي حتى اخمص قدمي.

- عم تتكلمين؟

نظرت بعيداً عبر كتفيه:

- انكارتا. هل رأيته؟

- لا لم اره. رأيتك انت فقط على وشك الانهيار عن الصخرة.

صوته كان متزناً، ثابتاً، قوياً. لمع في عينيها بريق غريب.

- لا بد ان تكون قد رأيته. لقد كان هنا.

لم يصدقها كراي، ولكنها اصرت:

- كان هنا، يجب ان تصدقني يا كراي.

قال بنبرة ساخرة:

- كراي. حتى الآن، كان إسمي السيد فولكنر. انت محمومة، وللمرة الألف اقول لك ضعي قبعة على رأسك، فشمسنا قاسية عليك.

اطرقت ببصرها قليلاً:

- قلت لك انه كان هنا، قريباً مني. لما سمع صوتك اختفى، واذا بحثنا سنجده بالتأكيد. اعرف انه كاد يقتلني فزعاً.

لم يصدقها فولكنر:

- يا الهي، هل تصدق امرأة تهذي؟

سألته من جديد:

- اترفض ان تصدقني؟

- عرفت منذ اليوم الأول انك مشاغبة جميلة.

بدت كطفل يستعطف ويطلب الأمان. بينما اطلق ضحكة قصيرة وثبت بصره عليها وعلى تقوّس فمها الفاتن.

احرقتها نظراته. ارتعدت. شعرت به يلفها بين ذراعيه. وتحت لهب الشمس، ذابت بيري في نظراته. وهمس:

- كل ما فيك مختلف.

ثم ضمها اليه. ارتعدت بين ذراعيه. التصقت نظرته بجفنيها المسبلين.

سحبت نفسها من ذراعيه وقالت:

- لو كنت في لحظة غير هذه لقلت لك كلاماً لا تجرؤ امرأة

على قوله.

- لا تنزعجي يا بيري، انت فتاة تراقبين نفسك جيداً.

ضحك للنظرة الملقاة عليه من العينين الفاتنتين:

- لا تنظري الي بهذا الشكل. لقد اثرتني بما فيه الكفاية.

- سانظر اليك دائماً بالطريقة التي ازيد.

- انت عنيدة. دعيني اتنفس.

ارتعدت شفتا بيري من جديد وكان وجهها شاحباً. كانت تعلم ان لحظة كهذه لا يمكن ان تنساها، مع ذلك قالت:

- قد استعمل طرقاً اكثر قسوة.

- بامكاننا ان نحاول مرة ثانية.

انتظر بفارغ الصبر رد فعلها، رفضت، ابتسمت ساخرة وتأملت نظرته الزرقاء الصادرة من عينين ذكيتين قويتين، وانطلق مع النظرة صوته يحمل نبرة مغايرة لما عرفت عنه:

- لا تصديني، ارجوك.

لم تكن تتوقع منه هذا الرجاء. رجل ككراي فولكنر الذي يقتحم الحياة غير آبه بالمرأة يصدر منه هذا.

حركت رأسها مبدية عدم الاستسلام وقالت بحدة:

- ارجوك ان تسمح لي الآن، لقد كسرت عاداتك بما فيه الكفاية.

ظلت نظرته تمسح فتنتها:

ـ لقد انتصرت. وازدهاؤك بنفسك قد يخلق لك مشاكل. انا لم ادع انك دون المستوى. انا سعيد بك. وعاداتي الآن اصبحت قيمتها صغيرة امامك.

قالت بصوت خافت:

ـ ايها العاشق المتكبر.

ـ وما هو العيب في ذلك؟

عليها ان توقف هذا المشهد. تحركت ببطء مبتعدة عنه بينما تبعها هو بالنخوة والكبرياء نفسهما:

ـ ما كان عليك ان تقولي: هذا العاشق المتكبر.

ـ اعرف.

ـ لا تقولي اني لا اروق لك.

رفعت بصرها اليه بعدما اوقفها بحركة من يده القوية. صارعت اضطرابها امامه. شعرت بدوار في رأسها ثم قالت بصوت متعب:

ـ اذهب الى الجحيم.

ـ قولي بربك. لمن تتركينني يا بيري؟

ـ للجحيم.

ـ كذابة!

ـ انا لا احبك.

ـ انت لا تحبين مركزي، نفوذي، ارستقراطيتي.

ضحك باقتضاب.وأردف:

- النساء لا يقلن ابداً ما تخبئه ادمغتهن. لقد اكتشفت هذا منذ زمن طويل. في هذا انت لا تختلفين عن اغلبهن.

طفت الألوان على سحنتها:

- اعجبتك ام لا، انا لست مستعدة لأهبك متعة لا معنى لها.

جذبها اليه وقال:

- لا. من اللائق ان تكوني واضحة معي.

ثم ضرب على خدها وانصرف تاركاً اياها واقفة في مكانها. تحدق فيه وهو يبتعد. كانت نظرتها اليه طفولية. هذه الطفلة التي تفتقر الى النضج فكرت وهي تتأمل السلطة التي يوحي بها ادباره عنها. ماذا ستجني من علاقة معه غير المتعة والألم؟

عندما ادرك اعلى الهضبة التفت اليها ثم ناداها:

- تعالي، لن تحلي اي مشكلة بوقوفك هناك ثابتة كشجرة. يجب ان تباشري عملك الآن، فقد انتهى درس اليوم.

كراي فولكنر هو رمز الجاه، يملك المال والنفوذ والفتيات الجميلات. اما هي، فلن تستسلم له بالسهولة التي يتصور. انها ترتعش لنظرة، للمسة منه، لأنه خبير في هذه الأمور ويملك جاذبية فطرية. لكنها رغم ذلك لن تقبل. لحقت به، وفضلت ان تمشي امامه، حاولت ان تتجاهله، ومشت. عقلها مشغول به حتى النخاع. مشى الى جانبها، مد ابهامه، مرره على يدها. احس بارتعاشتها. خمن ما يدور في خلدها: طريقة حياته.

وفكر ان كورين وجدت قبل ان يوجد هو، وقد انتظرت مجيئه لتخضع له. ولا شيء من الذي قد تقوم به بيري يغير شيئاً على الاطلاق.

٥ - بيري تتابع عنادها. وفي حفلة رقص طقوسية لرجال القبائل يحذرها فولكنز قائلاً: كوني فتاة طيبة، لقد تحكمت بما فيه الكفاية بأعصابي.

تأملت بيري لورنا تالبوت وقت العشاء. ادركت انها امام نوع خاص من الخادمات. فهي ترأس العشاء الذي اعدته بعناية فائقة، وبشكل يليق بعظمة البيت الذي تخدمه. تتكلم بصوت هادىء رصين، وتدير شؤون البيت بمهارة ترقى الى مستوى الأسرة التي تعمل عندها.

كلمها مارك كثيراً، ثرثرته اثارت بيري التي ازداد تقديرها لهذه السيدة التي تحتضن البيت بدراية كبيرة وبقوة معنوية هائلة، وبأمومة. هذه الأمومة التقليدية التي تدفع الأم الى عمل المستحيل من اجل سعادة بنتها. فكر مارك ان هذه السيدة لا تملك تفكيراً واقعياً، فهي وبنتها تعودتا نمط العيش الذي وفره

بيت فولكنر، وعلاقتها بأمه وباختيه بالتبني كانت وطيدةجداً، كادت تختفي معها علاقة صاحبة البيت بالخادمة. وقد تربت بنتها مع البنتين اللتين سافرتا الآن في جولة حول اوروبا للمرة الرابعة.

تمادت بيري في التحديق في لورنا تالبوت، وهي تفكر في طموح هذه السيدة باعجاب كبير. ألقت السيدة نظرة على كيم آمرة اياها بالتدخل في الحوار واعطائه حيوية تغنيه. كانت النظرة تتعلق بدخول كيم خضم الحديث (الدائر في مواضيع عدة) وابراز شخصيتها وابهار الحاضرين، واظهار انها المرأة التي تليق بكراي فولكنر.

ثبتت بيري نظرتها على كيم. احست بدقات قلبها تتسارع، وبنوع من الغيرة يغمرها، احتد وقسا كمحبوب صفق الباب في وجهها. سألت نفسها عن مدى درجة قسوة كبريائها، والكبرياء تأخذ الانسان الى ما يريد. وتمنت لو غادرت كورين. غطت رموشها الكثيفة عينيها، وكانت ترتدي ثوباً خفيفاً بشكل كشف عن ذراعيها، وتدلت خصلات شعرها حول وجهها المستدير.

زادها فتنة ضوء القناديل المرصوفة بذوق وسط المائدة. بدت حالمة، محمولة على اجنحة سحرية بعيداً عن الجلسة اللطيفة. مارك، الذي يشكل قاعدة معنوية تعتمد عليها في حواراتها، كان يثرثر مع زوجة احد عملاء فولكنر الذي اتى مع زوجته الى كورين لانهاء صفقة تجارية. الكل يتحدث. وكانت بيري

صامتة. حالمة. تعيش احاسيس خاصة.

سمعت ضحكة عمها رداً على ملاحظة ابداها فولكنر، سمعت ضحكة مقتضبة من كيم. استمرت في تيهانها وقد مرت ببصرها على الأثاث العاجي المنحوت بدقة، والنقوش المرسومة بمهارة في سقف الغرفة، والأبواب المصنوعة من خشب السدر. مدت بصرها الى غرفة الجلوس المقابلة، كان الباب مفتوحاً، فتأملت اطار المرآة ونقوشه الرائعة. على الحائط علقت صورة لزوجة كراي فولكنر الأول. كانت جميلة جداً.

ردد شخص ما اسمها معاتباً اياها على عدم سماعها السؤال الذي وجهه اليها كراي فولكنر. انه عمها الذي ابتسم قائلاً:

- بيري ايتها العزيزة، لقد كلمك السيد فولكنر لكنك ساهمة.

ابتسمت بيري بدورها وألقت نظرة اعتذار طفولية. اصطدمت بنظرة فولكنر الزرقاء الساحرة. لو كان له طفل لكان له العينان نفسهما والنظرة الزرقاء الصافية كسماء كورين.

قال فولكنر بنبرة احترام:

- دعها يا استاذ. انها تبدو كاملة الأوصاف ومن حقها ان تبتعد عنا بفكرها.

التقطت بيري الملاحظة وحدقت في فولكنر الذي حدق فيها بدوره. حاولت ان تهدىء نفسها. استطاعت ان تتحكم في اعصابها، وقالت:

- انا آسفة. لقد سلبني الاعجاب بأثاث البيت وزخرفته.

الغرفة المجاورة في غاية الجمال.

منحت بقولها الفرصة للعميل الجالس الى جانبها ليحرك رأسه موافقاً، ثم تدخل فولكنر:

ـ رخام كازارا الأبيض. انه جميل جداً.

وحدق في بيري مبتسماً ابتسامة لا تخلو من معنى.

تحت نظرته كاد يغمى عليها. لم يسبق لها ان عانت من تأثير نظرة بهذا الشكل. ظلت سجينة سحره الى ان ابعد بصره عنها. بدا لها الحب سراباً يتموج في الأفق، بعيداً، مستحيل الادراك. ثم لماذا الحب؟ هي لم تطلق عليه هذه التسمية من قبل. لتقل الاعجاب لا الحب. لا يمكن ان يكون حباً بهذه السرعة. ثم ما هي هذه العاطفة المرتبكة التي اصابتها في قلب اهتماماتها الأخرى، والتي تريد ان تخرج بها من دائرة الأسابيع القليلة التي تمضيها في كورين. ساد الصمت للحظة، ثم سمعت صوت كيم هادئاً:

ـ يجب الا نتأخر اذا كنا سنذهب لمشاهدة دورة الرقص والغناء. سينتظروننا. ان ذلك سيكون مفيداً لكم يا استاذ كرينوود. انهم يعلمون من انتم وسيعملون كل ما في وسعهم لمساعدتكم.

كعادته مع كيم، ابتسم الاستاذ. نبلها هو الذي دفعها للاهتمام به كاسم اسطوري، كصورة للدكتور شفايزر. وأدرك ان لورنا تالبوت تكن له احتراماً كبيراً. لاحظها وقت العشاء الذي اعد بعناية فائقة واستنتج ان المرأة قوية فعلاً. لقد

شحذها موت زوجها. وامرأة كهذه دون شك محتاجة لرجل يوليها عناية ما. همها الآن اصبح مصلحة ابنتها. اصبحت رؤ يتها كرؤ ية كبار كورين. استمع اليها وهي تقول:

- في الحقيقة يا استاذ، لقد شاهدت هذه الحفلات مرات عديدة طيلة هذه السنوات. وهذا كاف. ستسامحني اذا رفضت الذهاب مفضلة القيام بأشغالي.

ابتسم الاستاذ مدركاً المجهود الكبير الذي ستبذله في السهر على البيت، وقال:

- الراحة ضرورية ولو بقسط يسير. انا اعلم ان القيام بأشغال قصر كهذا شاقة.

- اوافقك، لكن العمل هو حياتي.

- حتى بعد زواج فولكنر؟

سأل الاستاذ بلطف محاولاً رفع الكلفة التي بينهما. اعتراه ندم، فابتسم كأنما ليمحو تسرعه:

- كل ما استطيع ان اقوله يا استاذ هو اني سأظل في خدمة آل فولكنر طالما هم محتاجون الي. خادمة متواضعة وبسيطة. عندما جئت الى كورين كنت لا ازال شابة. كورين بالنسبة الي مكان يتميز عن كل الأماكن. اكن الاحترام والتقدير لفولكنر. لقد حقق آمال والده فيه. وأشعر اني انا الأخرى احظى باحترامه.

- اعتذر اذا كنت قد اسأت اليك يا سيدة تالبوت، لم اكن اقصد اطلاقاً ازعاجك. اتمنى ان تصدقيني.

حاولت ان تبدو متأثرة باعتذاره دون ان تحرك فيها النظرة

الثابتة عليها ساكناً، قالت:

- اني اعمل كل ما في وسعي، سيؤكد لك فولكنر بنفسه ذلك. وأنا متأكدة من انه متعلق بكيم.

فكر ان عاطفة الأمومة القوية اقوى من الخضوع للواقع، ولا يعادلها في جبروتها الا الأمل. سألها بصوت خافت:

- اصحيح انه متعلق بها؟

لا شيء اسهل على الأم من بناء قصور وهمية من الأحلام، ولا يمكن لعلاقة كيم مع فولكنر ان تعطي الا زواجاً هادئاً مبنياً على خضوع كيم لسيدها، لا كمارك وبيري اللذين لا يكفان عن التنازع منذ صباهما.

لم تذهب لورنا بل حثت بنتها على الذهاب معهم، واعدة اياها بتهييء حساء لذيذ في منتصف الليل عند عودتهم. التفت كرينوود الى بنت اخيه التي وقفت الى جانبه في كامل بهائها:

- انت هنا ايتها العزيزة؟

قالها برقة وأخذها من ذراعها وخطا الى جانبها خطوات نحو الممر الرائع، بينما تحرك الآخرون وراءه.

- أكل شيء على ما يرام يا عم؟

همست له وهي تدرك قسوة نظرة لورنا اليها.

اجاب الاستاذ:

- اشك في ان السيدة تالبوت لن تتوانى عن ذمي دقيقة واحدة بعد خروجي من هنا.

- هل يشغلك هذا الى هذا الحد؟

ضحك وأجاب:

- امزح يا عزيزتي. اين مارك الآن؟ آه، انه هناك مع كيم. هذا الشاب الأحمق. النظرة اليه توحي بانه في مأتم. طبعه مقرف ولا امل في تطوره الى الأحسن.

ضغطت على ذراعه وقالت ضاحكة:

- اتعلم ان مارك يعاني الأمرين الآن، وهو يبدو جاداً بشكل مخيف ومثير للضحك؟ هذا خطأ امه. كانت تدلله اكثر من اللازم.

- نعم، يجب الاعتراف بأن الامهات في غاية الصعوبة. لكن اي شخص يراه يؤكد انه ممتاز. سأقول اكثر من هذا. اني اتنبأ له بمستقبل زاهر.

ادارت رأسها بدلال:

- حقاً؟ لكنه سريع العطب.

- طبعاً. وهذه صفة من صفات النباهة. لكن لا عليك، سيجد ذاته. ما علينا الا ان نتحمله لسنوات قليلة. هو الآن يتصرف كالطالب المجتهد الذي يفوز بكل الجوائز. انظري اليه. لن يتحسن. كيم فتاة جميلة وهو متجهم كأنها تسقيه السم.

اطلقت بيري ضحكة عالية. توقفت ضحكتها مع تقدم مارك نحوهما مع بقية الحاضرين. كان الآخرون يضحكون ويمزحون ثم تحدثوا عن استعمال السيارتين اللتين ستقلانهما الى الحفل. وهكذا وجدت بيري نفسها الى جانب كراي فولكنر

وكيم الى جانبه. مارك والاستاذ كانا في المقعد الخلفي.

السماء تزينها النجوم، والليل جميل. هواء لطيف يداعب الليل والفضاء والأرض. ارتعدت بيري في ثوبها الشفاف وأصغت لغناء طائر الليل الساحر.

ـ الحياة جميلة.

قالت بيري بصوت حالم، ثم سألها مارك هازئاً:

ـ حقاً؟

ـ طبعاً الليل هادىء، جوه لطيف، وفيه عمق وغموض.

ـ هذيان. انا لم احب الظلام قط في حياتي. فكري في هذه الأشباح والجن التي تملأ الليل.

ثم قال فولكنر:

ـ لا تعكر مرح الفتاة.

حاولت بيري ان تتجاهل ما قيل. قال صوتها الحالم:

ـ انه ليس ظلاماً. انه الوضوح ذاته. كونكا رمز القمر يضيء هذه السهول على مدى اميال. هذا الضوء الذي لا ينطفىء. اليس ممتعاً ان تكون في كورين وفي هذا الوقت؟ انا لن انسى هذا ابداً.

حدق مارك في وجهها الحالم المضيء تحت بريق النجوم. تأمل الانطباع الشاعري المرسوم على وجهها والتقت نظراتها، فقال بصوت خافت:

ـ انت فتاة جميلة، شاعرية، بريئة جداً، بالمقارنة مع جمالك الأخاذ، وفي هذا اليوم من هذا العصر.

في هذه اللحظة اضافت كيم بصوت هامس، كقطة تتحسس مكان الخطر:

ـ اذن داهية جداً.

تدخل كيم حث الاستاذ على التأهب للدفاع عن بنت اخيه، اليس هو المسؤول والمدافع عنها ضد كل ما قد يسيء اليها؟

ـ كما ترون، بيري تملك قدرة خارقة على ادراك الواقع والتشبث به.

التفتت بيري وقد شعرت بدفاع عمها عنها:

ـ ارجوك يا عمي.

سأل مارك بيري:

ـ ماذا يضايقك؟ الاستاذ قال انها قدرة خارقة. شهادة اخرى، ايتها الجميلة.

قال فولكنر متحدياً:

ـ علينا ان نتأكد من انها واقعية، لأني اعلم انها رومانسية جداً.

ألقت عليه بيري نظرة معاتبة وقالت:

ـ ارجوك، لا تتكلم عني، لا تقل شيئاً آخر.

ضحك وأجاب:

ـ حسناً ايها القمر. لن نحول الأمر الى شجار في ليلة كهذه. ماذا سنرى هذه الليلة؟ اغاني المطر؟ رقصة الماء؟ سنرى شيئاً مغايراً تماماً. لن نرى الأطفال والنساء في الحلبة. الطقوس والعادات كلها بين ايدي الرجال. لا تقولي شيئاً يا بيري. على

اي حال فهم ليس عندهم اشعار بالمعنى المعروف عندنا. اهازيجهم وأغانيهم تقوم مقام الشعر.

انحنى الاستاذ نحو فولكنر. اتكأ على كتفه وهمس:

ـ ما اتمناه هو ان اتمكن من لقاء انكارتا يا فولكنر. لكنه لن يقبل. فمن شبه مستحيل الحصول على اسرارهم، ومن الضروري الحصول عليها حتى لا تضيع مع مرور الأيام. لا بد ان تجمع اساطيرهم. هل تستطيع مساعدتنا في هذا الأمر؟

صمت فولكنر للحظة وقال:

ـ سأحاول. لكن يجب ان تعلم ان لانكارتا قانونه الخاص ولن اغيره. ويجب، تحت رعايتي، ان يموت كما عاش وفقاً لطقوسه. لا احد يعلم اين هو. قد نراه الليلة في الحفل.

ـ سأكون شاكراً لك. ترجمة اغنية من ثقافة الى اخرى امر في غاية الصعوبة. تستطيع كلمة واحدة ان تغير كثيراً من المعاني، وأفضل طريقة هي التعرف الى طقوسهم كاملة، لكن هذا يتطلب وقتاً طويلاً، وسنكتفي برؤ ية جزء منها.

ـ اعتقد يا استاذ كرينوود انك تأخذ معلومات وصوراً عن النقوش والحفريات والنحوت، وبهذا تكون قد حصلت على الشيء الكثير.

ـ لا نستطيع ان نشكرك بالقدر الذي يناسب مساعدتك لنا ووضع مكتبتك رهن اشارتنا. ومساعدة هذه الفتاة لنا ايضاً مشكورة.

ثم التفت الى كيم وربت على كتفيها مبتسماً. فقال فولكنر:

- لا تشكرنا يا استاذ فهذا واجب.

والقى بملاحظة لبيري مذكراً اياها برأي كانت قد قالته في اول لقاء لهما. ثم استمر في حديثه مع الاستاذ كرينورد معطياً اياه فكرة عن طقوس الحفل الذي سيشاهده، وعن طريقة الاحتفال ومكانه. عن المكان قال انه تكثر فيه ازهار الليلك منتشرة فوق الأراضي الخضراء اللامعة، تصطف حوله الأشجار من مختلف الأنواع، وقد حملت جذوعها غيران الدودة السحرية. هذه الدودة تبيض ويتهافت القوم على بيضها ذي الطعم اللذيذ والمصحوب برائحة اللوز. اطلقت بيري صرخة صغيرة:

- هل سبق لك ان اكلته؟

- بلا شك ، عندما كنت صغيراً، انا فضولي بطبعي وأحب انْ اجرب كل شيء.

التفتت الى كيم، وسألتها:

- وأنت يا كيم؟

- طبعاً، ولم لا؟ طعم هذا البيض كطعم افخاذ الضفادع والحلزون.

- لا استطيع تحمل طعم اي منهما.

ردت بيري بصوت واضح، قال فولكنر:

- يجب ان احكي لك عن الوليمة التي اقمناها على ذيل تمساح .

تفرسته قليلاً. ادركت تحديه لها. قالت:

ـ عرفت اللعبة الآن. لقد انتصرتما، وأنا اعلن انسحابي من هذا الحوار.

رد مارك مظهراً اسنانه:

ـ انتظري ان تسمعي الكلام نفسه مرة اخرى.

ـ لست امرأة من الأدغال، اليس كذلك؟

سألت كيم بيري بينما اشار فولكنر لها بالتوقف، ثم قال:

ـ اسمعوا.

اصوات دقات آتية مع ريح المساء، وهم يقتربون من مكان الحفل. نزل الكل من السيارة واتجهوا نحو الحفل تحت قيادة فولكنر وضوء القمر.

سمعت مارك يلقي ملاحظاته التي تثيرها:

ـ اتمنى الا تكون رقصة الهجوم من نصيبنا.

قال عمها كلاماً لم تسمعه. اخذ الجو السائد بمجامعها وأحست كأنها منومة.

قال فولكنر:

ـ شئت ام ابيت، انت مشدودة الي طيلة هذه الليلة.

التفتت لتحدق فيه، وابتسامة مرتبكة ترتسم على شفتيها.

ـ اذن فقد ضعت.

ـ حقاً. رسمت خطة لأضيعك. اريد هنا في هذا المكان ان تكوني قرب كتفي هذه.

ـ لكن كراي.

ـ تعالي ايتها الأنثى الساحرة.

وتبعته عبر ممر طويل يؤدي الى مكان الاحتفال. كان أليفاً غامضاً. لو انها عرفته في زمان أو في مكان آخر.
- دائماً أجد طريقي يا بيري، اسألي اي احد.
- اعرف ذلك، لكن لا تجعل مني عبداً ذليلاً لك.
مسحها بنظرة:
- انت حمقاء. وتعلمين انك حمقاء. تعالي، نحن هنا معاً، لا احد معنا.
قاومت نظراته الزرقاء.
- يجب ان تفسر لي تصرفك هذا.
- لم افهم.
- لا تهم.
وهربت من نظرته المعذبة، جذبها نحوه وسارا نحو الجمع ثم قال:
- من موقعي كشخص يثير احاديث الناس، اقلق عندما لا اثير الفضول والأقاويل.
- انا ادرك تمام الادراك ما تقول. لقد سمعت...
ارتعدت فرائصها عندما امتدت يده الى عنقها.
- موقفك من كورين غير واضح. افصحي. قولي. ثوري علانية.
حاولت ان تتخلص من اليد الرابضة على عنقها، وقالت:
- لا اريد ان اثور على احد. انا معجبة بك جداً يا سيد فولكنر.

- هائل. لا استطيع ان انكر سعادتي بقولك هذا. يبدو اني مقتنع اكثر مما اعتقد.

- نعم.

ضحك:

- تعالي اذن ، ما دمت معي فأنت تحت حمايتي.

اخذها من يدها وهبطا هضبة صغيرة افضت بهما الى مركز الحفل. النار مشتعلة. الهواء مثقل بروائح البخور الذي اطلقه الأهالي. الدق على الطبول يسمع على بعد اميال. تفرست بيري في اللهب الراقص المتصاعد من مصدر النار، وفي الأجساد الملتوية الراقصة خلف ستار اللهب. المغنون ينتظرون الشروع في الغناء. سيغنون مأساة زمن الحلم، تحت النجوم وبين الأدغال.

مشى فولكنر وبيري في اتجاه الرمل. التفت ليتأكد من ان ضيوفه يتبعونه. توقف للحظة في انتظارهم.. صوت كالخوار اندفع بين الأشجار وبدا وجه غريب متحرك ببطء داخل حلقة ضوء النار. ظهر كساؤه والريش الذي يحيط برأسه. ظهر الصدر المصبوغ الحامل رسوماً تنحدر من عنقه الى اسفل. انه انكارتا. رجل كوردايتشا. شعرت بيري بقوة خفية تحملها وكأنها تركض نحو اتجاه مظلم هادىء. حركت كتفيها في حركة لا ارادية وألفت نفسها تحدق في الحكيم العجوز. امامه فرقة من الراقصين تنحني باجلال واحترام لقائدها.

السحر يأخذ بمجامعها واليد القوية الرابضة على كتفها

تشعرها بالأمان. ذهب بصرها نحو النساء والأطفال المتحلقين حول النار.

نظر انكارتنا اليهم عن قرب. القى تحية الى الرجل الأبيض، فولكنر، رجل السلطة، متجاهلاً الآخرين المنبهرين بالمشهد. انتظر قليلاً وأعطى الاشارة لأعوانه فحملوه الى منصة الشرف.

عندما اخذ مكانه، انتظر فولكنر ليعطي الاشارة لبدء الحفل. ثم صفق بيديه المزيلتين، فكانت الانطلاقة اهازيج من عهد الحلم. الحلم. جزء اصيل من فلسفة الأصليين. حين كانت الأرض تسبح في ظلام لانهائي وجاء ابطال عهد الحلم ليعطوا لهذا العالم شكلاً ولوناً.

العصي المشتعلة في ايدي الراقصين تلمع في رقصة الأشباح، وترتعش فتخلق الرعشة في المشاهد. كان الرقص في منتهى الروعة والأغاني الغريبة تحتوي المرء. بعض نساء القبيلة المتزوجات يوقعن نغماً متناسقاً بالعصي، في الوقت الذي تتحرك فيه اخريات على الايقاع نفسه في تناسق غريب، وأخريات يضفن الى جمال اللحن سحراً آخر بتوقيع ضربات على الطبول بأيديهن اللطيفة.

في الجانب الآخر من النار، يتحلق شيوخ القبيلة بدورهم موقعين ضربات على الطبول بدقة مدروسة. مكان شاسع ساحة الليلك هذه. معبد من الزهور. وضعت بيري يدها على قلبها النابض بسرعة غير عابئة بالنار التي تتراقص فوق رأسها بين الحين والآخر. لم يكن من الصعب عليها ان تتبع اغنية المطر

السحري. عرض الراقصون صوراً متتابعة غناها المغنون. سحب تزاحمت. ريح هيت. مطر تساقط. غمر الأرض. فاض. صوت الرعد، رمز العاصفة.

الايحاءات كانت صارخة. التمثيل كان في منتهى الدقة، والأثر كان واضحاً. كان العمل المقدم يختلف عن الباليه الأوروبي، لكنه لا يقل عنه تنظيماً، وقوة، وعمقاً.

استمر العرض. غنى الجميع في لحظة دخلت فيها راقصة جميلة لتفتن الحاضرين بما تقدمه من بهلوانيات دقيقة متناسقة، متناغمة مع الأداء. التفت اليها انكارتا بنظرته الميتة. تساقطت على الأرض محتفظة على الايقاع. كان في حركتها خوف واحترام للحكيم العجوز.

التفتت بيري الى اصدقائها لتقرأ تأثير العرض على ملامحهم، كان الكل ذاهلاً. حتى مارك وقد منح كتفه لكيم تتكىء عليه وغاب في غمرة النشوة. اختطف الحفل صخب زوجة احد العملاء التي لم تصمت دقيقة في العشاء وبدت ضحية الافتتان.

تطايرت الساعات دون ان تنقطع العروض: الى جانب بيري وقف فولكنر في كامل جبروته. فكرت انه في هذه اللحظة اغلى من حياتها. رأت في عينيه بريق زهو.

ـ مدهش. اليس كذلك؟

عرفت من السؤال انه لا يقصد الحفل. حركت رأسها دون ان تجيب. توقف بصرها عند تقوس فمه. كل شيء فيه ساحر.

وتحت الضوء الذي خلقته المشاعل كان يبدو اكثر سحراً. ضحك ضحكة مقتضبة وكأن ملامحها اعطته الرد الشافي على تساؤلاته.

النساء كتل عاطفية، شاعريات. يعشن على الأحلام. اما الرجال فلا. خاصة من كان ككراي فولكنر غموضاً وكبرياء ونفوذاً. ظلال الأوراق مرت على وجهه تحت ضوء المشاعل. كان هادئاً، غير متأثر بما يرى. كان ينتظر ان تسقط في شباكه. لعبة القط والفأر اتقن فيها بمهارة دور القط. لقد حذرها مارك من قبل.

كراي فولكنر يستطيع ان يستحوذ على المرأة بنصف عقله بينما النصف الآخر تشغله اعماله.

كان الراقصون والمغنون يتحدون التعب. بللت شفتيها بلسانها. رفضت هواجسها وحاولت ان تنقذ كبرياءها صارفة بصرها عن فولكنر.

في الوقت الذي فكرت انها لم تعد تستطيع ان تتحمل المزيد، انتهى الحفل. وساد الهدوء. وقف الراقصون جامدين. نهض انكارتا بمساعدة اعوانه وأعطى اشارة الختام.

- فلنعد الآن، لا ضرورة لأن اسأل عن انطباعاتكم، فوجوهكم تعلن انبهاركم.

قال فولكنر ذلك وتحرك الكل ببطء. كانوا لا يزالون تحت تأثير سحر العروض. نظر الى ساعته، ومد لبيري يده قائلاً:

- رأيت هذا الحفل مراراً، وواضح انك ترينه لأول مرة.

ستحلمين احلاماً متقطعة لما رأيت. تعالي لنذهب الآن.

اوقفها بيد واحدة. اربكها من جديد.

- اتريدين البقاء هنا حتى الفجر؟

- ولم لا؟

- معروف عن النساء حماقتهن.

- البعض فقط وأنا لست منهن.

- مسكينة.

- مسكينة؟ انا آسفة اذا ضايقك تصرفي.

- ساحرة.

- هذه مجاملة منك.

انفلتت من قبضته. لم يرقه تصرفها. راقب الآخرون هذا المشهد. قال فولكنر:

- ستؤدين الثمن غالياً ايتها العزيزة، اعدك.

- لا اعتقد يا سيد فولكنر.

العناد الذي في صوتها يتمرد على ما يغلي في داخلها. حدق فيها بذات الاعتداد بالنفس. قال:

- وفري انفاسك.

كان صوته يحمل نبرته المعتادة. اراد ان يوقف لحظة الجدال هذه.

- تعالي الآن، لقد لاحظ الكل نزاعنا. وكوني فتاة طيبة، لقد راقبت نفسي بما فيه الكفاية وتحكمت في اعصابي.

قد يكون تحذيراً ما قال. تحدتها لهجته. رضخت.

استسلمت. اقرت بانها ارتكبت خطأ. عاندت فلم توفق في عنادها، صمتت. ماذا بقي اذن؟

٦ـ ما حدث هذا اليوم جعلها تدرك انها فتاة من المدينة بعيدة كل البعد عن التأقلم مع هذا المحيط، وعليها ان تعود الى بلدها.

بعد فطور اليوم التالي، خرج مارك ليتمشى قليلاً على الشرفة. كان اليوم بهيجاً ونسيم خفيف أت من الشرق يداعب الصباح والحديقة والأعشاب والزهور.

نزل الدرج متوجهاً نحو الزهور، مطلقاً صفيراً خافتاً. كان يعلم انه مراقب في هذه اللحظة وأن السيدة تالبوت لا تفارقه ببصرها. فهي تحصي انفاس الجميع، خاصة بيري، هذه الفتاة البريئة السيئة الحظ. هناك شيء ما يدور بينها وبين فولكنر. لعله انجذاب ناتج عن الجمال الجسدي لا أكثر، لكن كليهما يثيران الفضول، ويجذبان البصر.

تناهى الى سمعه ضجيج خافت لحركة ما. حاول بزاوية بصره ان

يتبين مصدر الحركة. التفت ليرى كيم تالبوت. حيته بحركة من يدها، وابتسمت له:

- ماذا تفعل، أتقطف الازهار؟

ألقى عليها نظرة خاصة. وجهها يوحي بصحتها البدنية.

- لا، فقط أفكر. الى الجحيم هذه الزهور.

- لا، لا تغضب، ولو ان الغضب يغير من طبعك الهادىء المتجهم.

- تعيشين بطريقة مباشرة جداً. دون شك، لا تستطيعين كسب صداقات.

ردّت بهدوء:

- يبدو أنك لا تعي اهتمامي بك.

أفلت منه تساؤله:

- حقاً؟ انت اذن مهتمة بي؟

- نعم. اذا ابتسمت هكذا بشكل دائم سنكون صديقين.

ابتسم مارك تحت تأثير الاطراء الذي بدا من كيم:

- لنكن اصدقاء اذن. بكل ما في الكلمة من معنى، اي من النوع الممتاز.

لم يرقها قوله، فبادرت:

- أتعتقد اني أحاول ان اصدك عني باقتراحي هذا؟

- لا ايتها الفتاة. لا. انت مخطئة في تخمينك هذا.

حدقت فيه. عيناها ذهبيتان تلمعان بسخرية:

- هذا هو الجواب المقنع. ما رأيك لو ذهبت معي للرماية.

ـ اتمزحين؟

ـ طبعاً لا. أنا اذهب دائماً للرماية. صدقني. . . أرى ان هذا لا يهمك.

ـ معك حق.

وتراجعت تريد الانصراف دون ان تزيح بصرها عنه. تلعثم قليلاً ثم قال:

ـ لنذهب معاً. أنا مستعد للاستماع لأي شخص يدلني على أشياء أجهلها عن نفسي.

ضحكت وردت بصوت فيه اثارة:

ـ ليس الآن يا مارك. أعدك بأنك لن يمسك أذى معي.

ـ كنت اعتقد انك تختبرين قدراتي في هذا المضمار. أنا أرفض المقامرة معك. فأنت جميلة.

ـ كنت اعتقد اني خارج دائرة اهتماماتك باعتبار اني خالية من الأنوثة. من الصعب منافسة شخص كبيري.

أخذ يدها ونظر اليها طويلاً:

ـ انت حمقاء. انت فتاة فاتنة. كلما رأيتك تمتطين الحصان الأسود بأناقة ودراية، صعب علي صرف بصري عنك.

ـ يا الهي. لا توهمني بصحة ما تقول.

ـ جربي صدقي اذن.

ظل ممسكاً بيدها، وقال:

ـ لا تستعمليني لتمارينك على معاكسة الرجال. انت تعرفين طبعي.

ـ لا تعتقد ان طبعي أحسن من طبعك.

ساد الصمت للحظة وقالت:

ـ ألا تعجبك صراحتي؟

ـ لم أعترض قط على السخرية الجيدة الواضحة. هل استطيع منعك من قول ما تريدين؟

ـ طبعاً لا. لقد كنت دائماً هكذا. فظة في كل شيء.

ـ أنت تظلمين نفسك بهذا الكلام. لماذا تجرحين أحاسيسك الطيبة الرقيقة. ثم قولي، الا نخرج الآن؟

أشرق وجهها وأجابت:

ـ اذا كنت مستعداً.

ـ حسناً. لكن أرجو الا أغيب عن انتباهك.

ـ اتفقنا. سأنادي عاملين ليذهبا معنا. نلتقي في الأسطبل.

قبل ان تنصرف، همس لها بصوت حالم:

ـ أتعلمين انك الفتاة التي أريد؟

توقفت للحظة. ألقت عليه نظرة سريعة صامتة متكلمة. ثم اختفت داخل المنزل. سيفتقده الاستاذ لساعات. سيعطي لنفسه حق التمتع باصطحاب فتاة جميلة له. في الحياة مفاجآت. وكيم تالبوت، فتاة تستحق ان تستأثر باهتمامه.

حين انتصف الصباح، أعطى ضوء النهار للأراضي الشاسعة بهجة ومرحاً وحياة. وغير بعيد، كان السراب يتموج خادعاً البصر. وحلم كالسعادة يغمر بيري. امتطت فرسها الصغيرة واتجهت نحو حدائق الازهار البرية وأشجار البوهينيا وعيناها تتابعان في فضول

حركة زوجين من الدينكو في الممر أمامها.

جمحت الفرس. ربتت بيري على رقبتها بلطف. فركضت كالحلم، يلفها الجو الجميل والمناخ الجميل والفضاء الجميل.

شعرت بيري بعياء، فارتمت على العشب وقدْ مال كتفاها الى الامام ويداها على ركبتيها.

على بعد مسافة منها، كان جاك رايلنس وعمها منهمكين في تفحص الرمل. وراءها كان فولكنر على حصانه الجميل.

بدا انيقاً. تفرست به بفرح. لا تتعب من التحديق فيه والاستماع إليه رغم عجرفته وثقته في نفسه التي لا تحد.

كان كراي فولكنر مالك هذه البقاع كلها. تمنت لو كان رجلا آخر.

التفت اليها وكأنه شعر بوجودها من قبل ثم اتجه نحوها قائلاً:

ـ انهضي فهذا ليس مكاناً للجلوس.

ـ لماذا؟ انه مكان جميل.

لماذا يمنعها من الجلوس؟ أيبحث عن شجار جديد؟ لم تفهم شيئاً.

ـ هناك أمكنة أفضل قد تفيدك.

ترددت للحظة. قال:

ـ طبعاً، تريدين دائماً ان تكون كلمتك هي الأخيرة. انهضي ايتها الأميرة النائمة.

انحنى عليها وكأنه يريد ان يوقفها بالقوة. ارتعدت. ضحك:

ـ كان يجب ان ارى هذا المشهد بأي ثمن. هذه الارتعاشة العصبية. انت وديعة كالطفل.

انحنى من جديد وقرصها من رجلها. ارتعشت ثانية.

ـ هل تتصرف بهذا الشكل مع أي كان يا سيد فولكنر؟ ماذا فعلت لاستحق منك هذا؟ اسأل صوت النفوذ لعله يرد.

مال برأسه جهتها وقال:

ـ هل تعتقدين انك تستطيعين التأثير علي بهذه السخرية؟ القوانين هنا صارمة. وقد اخترقت منها عدداً اكبر مما احترمت.

ـ هل فعلت حقاً؟ اتساءل لماذا تعطي أهمية كبيرة لكل هذا.

لم يتحرك هذه المرة. لكنها احست بان شيئاً فيه قد تغير، كالغضب. ضايقتها نظرته.

ـ لم تنظر الي هكذا؟ هل تمارس التنويم المغناطيسي، ام انك تنوي ضربي؟

القى لها بابتسامة من نوع خاص:

ـ لا هذا ولا ذاك. انت فاتنة اكثر من اللازم. فقط أخضع للجاذبية التي تمارسها علي الشقراوات.

تكلم دون ان تتغير ملامحه، دون ان تتغير نظرته، دون ان تنقص كبرياؤه. حدقت فيه دون ان تستخلص شيئاً من غموضه.

ـ سوف لا تصدقني اذا قلت لك اني لا اصدقك. وارجوك ان تتوقف لأن الآخرين قادمون.

عمّق التهكم في صوته:

ـ يا للأسف. تسعين الى تخويفي من نفسي. انت تلعبين لعبة خطرة يا بيري. وأنا لا أقبل سفاهة من امرأة، لاسيما من طفلة مثلك.

ـ مهما قلت يا سيد فولكنر فأنا أريد ان اساعدك، فقط.

ـ لم أتوقع هذا.

ـ إنت حساس جداً مثلي يا سيد فولكنر.

ـ ستؤاخذيني الآن.

ـ نعم، لكن على تأويلاتك فقط. أنا أعرف الحدود التي علي ان التزم بها.

ـ كل هذا تقولينه ليعجبني تصرفك ايتها الصغيرة.

كان الصوت هذه المرة بطيئاً، جارحاً، مدركاً كل ذرة من حواسها.

ـ لا أعتقد.

رد بقسوة:

ـ كوني أصيلة اذن. لا تدعيني اشعر بان الحق معي في كل ما اقول.

عادت تحدق فيه. انه يتحداها. وهي تعرف انه يتحداها. نظرت اليه. لم تستطع سبر اغوار ملامحه. احست بالحرارة تصعد الى وجنتيها.

ـ أي امرأة هذه التي ستنجح في الاستيلاء عليك؟ لا شك ان لك ماضياً مثيراً.

أجاب بحدة:

ـ انت تعلمين هذا منذ اليوم الأول.

ـ نعم أعرف، لكني اراهن على اني لن امنح لك اللحظات الشاعرية التي تبحث عنها.

ضحك عالياً وقال:

- الزمان وحده هو الذي يملك الرد على هذا الرهان.

- انت غريب وغامض الطباع.

أخذت نفساً عميقاً من الهواء النقي وكأنها تستعد للدخول في عراك كلامي.

حذرها:

- كوني حذرة يا بيري، لست محصناً ضد كل ما تقذفين به الي.

- لكني لا استطيع مقاومة أقوالي. انت تدفعني لذلك. لن تتبدل أبداً.

- أترغبين في أن اتبدل؟

اضطرها الى الصمت، ثم ردّت بعد لحظة:

- لن أرد على هذا السؤال. فقط أقر بأن لك تأثيراً محيراً علي.

- وأنا أشعر بالذنب من جراء ذلك.

- لا ضرورة لهذا الشعور. كنت هنا في هذا المكان جالسة اتأمل وأفكر في عملي.

امتدت اليها يده. قبضت على كتفها. سكتت ذاهلة.

- اصمتي الآن.

تحولت نظرته الزرقاء من الحديث الى شيء أهم. أصغى ليتبين الصدى الآتي من بعيد.

- ماذا حدث؟

- اصمتي.

أقبل احد الرعاة ـ داندي ـ وقد تخلى عن مطيته.

ـ هذا المكان ليس لائقاً يا سيدي. هناك خشخشات بين الادغال. لعله خنزير أو خنازير وحشية.

ـ ما تقوله قد يكون صحيحاً.

احتدت نظرته.

ـ تعالي، سنذهب.

بالقرب منها زقزق طائر. رخامة صوته دفعت بيري للقول:

ـ سأبقى هنا. لهذا الطائر صوت جميل يا كراي.

مد يده الى ذراعها وجذبها بقوة. وكالكابوس، انطلق خوار وحشي، وبدا الحيوان المخيف مندفعاً نحو داندي.

توقف داندي للحظة دون ان يبدو عليه الهلع، ثم دار حول نفسه متفادياً الوحش بسرعة. لكن سرعته كانت أدنى مما يتطلبه الموقف. وبقي يقظاً. لم يفقد عقله. وجدت بيري نفسها تهتز من الرعب. كل هذا لم يكن سيحدث لو أنها لم تتعنت. هذا الانتقال من الهدوء الى الخطر كان مفاجئاً جداً. تعلقت بغصن شجرة. تتلاحق انفاسها. تختلط خصلات شعرها باوراق الشجر. صوت فولكنر يصرخ:

ـ اقفز يا داندي. اقفز. اقض على الوحش.

ردّ صوت الراعي من قلب الصراع:

ـ لا أمل يا سيدي.

ـ والآن...

قفز داندي كراقص عظيم وكأنه يلبي نداء حس سادس فيه.

دفاعه عن نفسه يقتضي السرعة والمهارة والدهاء. قفز في الهواء، وقد فرق بين ساقيه، وفي عينيه يلمع الخوف. في هذا الوقت اندفع الوحش مخترقاً الفراغ الذي خلقته قفزة داندي، واستمر يركض مسافة طويلة. توقف وعاد ليهاجم من جديد. لم يكن لداندي الوقت ليفكر في شيء ما. عاد الى الأرض بخفة لكن رجله غرقت في حفرة. تمرغ في الأرض متألماً. كان ينتظر ان تخترقه قرنا الوحش. جف حلق بيري. تمنت لو كانت لديها القدرة على الصراخ. كل ما يجري الآن ناتج عن تصرفها الأحمق. تعلقت بالغصن بكل قواها. تخترق سمعها دقات قلبها غير دارية ماذا تفعل ولا كيف تتصرف. تراءى لها رجل طويل، متين البنيان يركض بسرعة جنونية وسط الخيول، واندفعت طلقة من فوهة بندقية. كان داندي لا يزال طريحاً على الأرض ووجهه يرتعش.

يا الهي. للحظة رأت الظلام. سمعت زفير المعدن وكتمت أنفاسها.

مات الحيوان في الثواني الذي اندفع خلالها نحو داندي. استقرت الرصاصة في وسط الرأس. تدحرج بكل قوته على الأرض فاندفع الدم متدفقاً منتشراً على العشب.

ارتعشت يدا بيري أكثر. تاهت وسط عالم من الانطباعات. سمعت صراخ عمها، لكنها لم تدرك كل شيء. كان ما حدث يفوق تصورها. ولم تستطع رؤية مزيد من الدماء وهي تتدفق من رأس الوحش. سقطت على العشب وقد شحب وجهها كأن اللحظة التي مضت امتصت كل حيويتها.

انحنى نحوها على ركبتيه وعلى وجهه آثار تعب انتهى.

العاشرة ليلاً. قمر شاحب يخترق الحديقة. ضوؤه الخافت يعكس ظلالاً على الأرض. وقفت بيري هناك تتأمل المشهد الجميل. رأت خادمة تحرس حوض الليلك منهمكة في عملها وقد مدت ساقيها الجميلتين.

ابتسمت الخادمة. تقدمت نحوها بيري وسألتها:

ـ لماذا تبتسمين؟ الحياة اكثر تعقيداً مما تظنين.

لم ترد الخادمة واحتفظت بابتسامتها. فابتعدت عنها دون ان تفارق خيالها بسمتها. الأمن والهدوء يعطيان الطمأنينة في هذا المكان. دفء الليل والرائحة الطيبة المنبعثة من الاشجار.

هذا الجو أعطى لملامح بيري مسحة حزينة رقيقة، مهما حدث لن تنسى كورين ولحظاتها الهادئة. وتدفقت دموع على خديها. لقد قال فولكنر في وقت العشاء انه تعب من تصرفاتها المراهقة الحمقاء. صعب عليها تصديقه وهي تنظر الى عينيه ونظرتها اللامبالية. انها لم تر فيه شيئاً اطلاقاً. ما حدث هذا اليوم جعلها تدرك انها فتاة من المدينة بعيدة كل البعد عن التأقلم مع هذا المحيط.

لورنا تالبوت وبنتها كانتا بدويتين، قويتين، منسجمتين مع الطقوس والطقس. أما بيري، فحتى مشهد الدم أثار رعبها وأفقدها هدوءها ولون وجهها الطبيعي.

كانت نظرة كيم وامها تقولان لها انها بعيدة عن هذا المكان وان عليها ان تعود الى بلدها وحياتها التي خلقت لها. انها ليست اكثر من عابرة سبيل. لا أحد في كورين يأخذ اقامتها الدائمة هناك مأخذ

الجد. انها لا تحسن حتى ركوب الخيل فكيف الرماية وحراسة الابقار. عمها ومارك وحدهما تفهما وضعها. ابتسمت بيري:

ماذا ينتظر من فتاة المدينة؟

وبخت نفسها بشدة. قررت ان تسأل فولكنر عن رأيه فيها ولتتحمل النتائج المترتبة عن ردو. قد يتجاهلها. لن تطلب امتيازاً. انها تحبه. لقد أعطى رأيه فيها، لكن في لحظة غياب وضوح الرؤ يا.

كلما فكرت في انه قد يصدها ارتعدت وانقبض قلبها، وانتصارها على كراي فولكنر قد يكلفها سنوات وسنوات. من خلفها سمعت حفيفاً لشبح في الظلام. وانطلق الصوت منبعثاً من ورائها:

- أرجو المعذرة. لا تتكلمي وحدك.

التفتت رافضة ان تخضع.

- أنت.

أحنى بصره نحوها وقبض بيده على المقعد الذي تجلس عليه.

- بيري، لقد انتصرت وأنا أعترف.

- يجب الا تتكلم هكذا يا صانع القانون.

مد يده وقبض على معصمها.

- أيتها الحمقاء الصغيرة. كنت تبدين غائبة في الدقائق الخمس الأخيرة، دون نبض.

- النبض ليس دليلاً. أتحاول ان تأخذ قلبي مني يا كراي فولكنر؟

- وهل استطيع؟

- نعم تستطيع. أهذا هو الردّ الذي كنت تنتظر؟ كنت دائماً أقول لك انك لن تكون الخاسر الأكبر.

عبثت يداه بشعرها وقال:

ـ أنا الآن الخاسر.

ـ لا تقلق، سأذهب بعد أسبوع.

قالت وقد تلاشت أنفاسها، وحاولت ان تحرر نفسها من قبضته.

ـ وهل يجب ان تذهبي؟ هكذا اذن سيخيب أملي.

ـ هذا أفضل. دعني اذهب يا كراي. ما كنت قط مهزلة كهذا اليوم.

ـ كانت مخاطرة. أقر بهذا. لكن لا يهم. الكمال لله وحده. وقليلات هن النساء اللواتي يعترفن بزلاتهن.

مسحت نظراتها وجهه وقالت محذرة:

ـ أنا على وشك ان أكرهك.

ـ هذا قاس شيئاً ما. ثم اني لا أرى لماذا تتكلمين بصوت منخفض. لو كنت أي امرأة لبقيت ورأيت كيف أدير صحرائي وليأت الجحيم اذا شاء.

ـ لا أستطيع. قد يحدث قدر ما.

ضحك. فكرت ان تضربه. ثم ضعفت وحركت رأسها بيأس:

ـ على الأقل، أنا أرفه عنك.

ـ نعم يا بيري، لأنك في حالة غير طبيعية الآن. لنفكّر الآن كشخصين عاقلين. أنا مهيأ لمواجهة المشكل كيفما كان. لن ادعك أبداً تمسكين مسدساً، فأنا أريد ان أرى المزيد في هذا العالم.

ضحك ثانية، قالت:

ـ أشكرك على هذه الكلمات الجميلة.

حركها بيديه القويتين وقال:
- حاولي ان تنظري الى ما حدث من الجانب الايجابي. كنت يائسة، لكن جميلة. لا تجرؤ العين ان تبتعد عنك وأنت ملقاة على العشب، صغيرة، ضعيفة وقوية في الوقت نفسه.
حدقت فيه، وانطلقت الكلمات دون ارادة منها:
- أنا أحبك يا كراي فولكنر. كنت دائماً أعرف اني سأحبك.
- هذا جميل، لقد هربت مني بعيداً. لا. لا ترتعشي. هذا أمر شخصي وليس فضيحة. ليس مأساة. لا تخافي. هذا فقط يوم غير عادي.
- أرجوك يا كراي.
قلد كلماتها مازحاً:
- أرجوك يا كراي . . . اسكتي الآن. بقية الطريق أقل صعوبة مما مضى. كان علي ان أدرك من الدقيقة الأولى انك صعبة المقاومة، ولو ان أحدنا لم يفهم الآخر.
اعترتها رعشة. كانت مثل وردة شاحبة اللون. ونظرتها من القوة بمكان لدرجة تذهل أي رجل. ضحك. لكنها لم تكن تسمع سوى دقات قلبها. لا شيء غيره موجود الآن. فلتأت نهاية العالم اذا شاءت. هي الآن تعيش أجمل لحظات حياتها.
مد يده اليها. توقفت أنفاسها. التفتت اليه فاتحة فمها لتطلق صرخة صغيرة. أخفت رأسها بين كتفيه. ضمها اليه. جمالها أخاذ. ما يجمعهما هو شيء أقوى من الحب. عاصفة عاطفية تعبث بهما.
همس في أذنها:

ـ ايتها الصبية الجميلة، ماذا فعلت لك؟

لم ترد. فتحت عينيها باحثة عن الحنان في ملامحه. لا أثر له. لا أثر للعاطفة التي تحس بها الآن. قالت بصوت مصدوم:

ـ انت لست انساناً.

تمنت لو ضربته. انها تطلب الآن اكثر لأنها تحبه. بدا وجهه يحمل أثراً غريباً.

ـ ومن أنا اذن، ايتها الساحرة الشاذة. انت تهذين.

الصوت الحاد أعادها الى وعيها المخطوف بالحب. لم تجرؤ أن تضيف شيئاً الى ما قالته، لأن ما قالته لم يكن صحيحاً.

وقف أمامها دون حراك. زاد اضطرابها، قال:

ـ لا أكاد أصدق. انت الآن تتعلمين. جرأتك هي التي نادتني ولبيت. لا تقلقي فأنا أكتم الاسرار. لا أحد يعلم ولا أحد سيعلم. حتى عدوي الذي قد يكون انت لن يستطيع ان يتهمني بالثرثرة.

انتزعت وجهها من نظرته الجامدة. ايقاع صوتها فقد توازنه:

ـ حكمك علي هو في منتهى السلبية.

ودارت بوجهها شطر القمر. تبللت عيناها الخافقتان.

ردّ عليها بسخرية عمقتها ملامح وجهه المتكبرة القاسية:

ـ تصرفك بذيء. وأنت تقرين بهذا. مزاجك غريب حافل بالمفاجآت. وأنت رائعة وأنا خائف ان تكوني حلماً.

التفتت اليه من جديد:

ـ كفى. رأسي يؤلمني.

قطع البكاء صوتها. وضعت يدها على فمها محاولة ان تمنع

تشنجاتها.

ـ تعالي الآن. حاولي ان تتخلصي من هذه الهستيريا التي تصيبك. سنذهب الى البيت وتشربين شراباً منعشاً لكي تهدئي أيتها المراهقة. لدي من القهوة ما يكفي لتحملك.

ومشت الى جانبه دون كلمة. انها دون شك مجنونة لا تتحكم في عواطفها. لماذا هو لا رقة فيه ولا حنان. لا يحمل لها في قلبه ذرة عاطفة. تنهدت. التفت نحوها وداعب ذقنها بيده ثم قال:

ـ مسكينة يا بيري. لقد وضعتني في حالة غضب عنيفة. لكني فجأة استطعت ان أرى ما ينقصك. لا امرأة في العالم يصعب سبر أغوارها، وأنا أعتزم اكتشافك.

تحركت يدها داخل قبضته. أضاف:

ـ ستصبحين لي. أنا متيقن من ذلك. والوقت لم يفت لتلقينك درساً أنت في أمس الحاجة اليه.

ـ لا أعتقد، لكن ما تدعي يحتاج الى انسياق مني.

ـ بحق الله، لا تقولي شيئاً. أفضل ان تصمتي قبل ان تتكلمي عن ذهابك.

دق قلبها هذه المرة بعنف. خنقت صرخة صغيرة. انها تحبه وهو يلعب لعبة من لعبه التي يربحها دائماً. تمنت لو ركضت. لكنه لن يتركها. سيستعمل قوته ليجبرها على المشي الى جانبه.

لا يستطيع شخص ككراي فولكنر ان يعيش دون نفوذ، دون جاه. لا مكان للحب في حياته. الحب، هذه الاسطورة الجميلة التي لا تحتاج اليها الا النساء. منذ اللحظة عليها ان تختار. فكرت كثيراً،

تمنت لو ابتلعتها الأرض على ان تصارع حلماً مستحيلاً. فكرت في حاضرها ومستقبلها، فكرت، فكرت، دائماً هو يملأ الزمان والمكان فيعتصر الألم كبرياءها. انها تحبه ولا رغبة لديها في العالم سوى ان تراه.

٧- وتدخل لورنا تالبوت على الخط، لتخطف فولكنر من بيري وتحتفظ به لابنتها كيم. ولورنا سيدة قوية، فهل تحقق غايتها؟

انهمكت بيري في عملها ثلاثة أيام دون انقطاع. في اليوم التالي احست بالارهاق فانسحبت مختلقة عذر كتابة بعض الرسائل. وفي غرفتها امام المرآة تأملت الأثاث المعكوس على صفحة المرآة وزخرفتها العتيقة.

توقف بصرها عند تمثال صغير لرمز من الرموز القديمة، سبق لفولكنر ان كلمها عنه وقال انه مصنوع في القرن السادس عشر. كل شيء في كورين يثير الاعجاب.

في ظلمة الليل استطاعت بيري ان تراه. كانت تعلم انه يعد الأيام والساعات والدقائق حتى لحظة ذهابها. لم تكن تستطيع ان تعيش معه تحت سقف واحد دون ان تدرك إن تصرفه تجاهها

متكلف. لم تكن أكثر من غازية جميلة. تفكيرها هذا لم يعطها سوى الدموع والحزن. تمنت لو أنها لم تره. كانت سعيدة في عالمها الصغير، والآن...

سمعت دقات صغيرة على الباب. اهتزت قليلا وتساءلت من يكون الطارق. عاد الطرق من جديد، فتوجهت بيري نحو الباب بخطى بطيئة. لما فتحت الباب فاجأها ان ترى لورنا تالبوت.

ابتسمت لها السيدة تالبوت ودخلت الغرفة، هادئة، متأنية، رابضة على فكرة ما، تفضح نظراتها رقة صوتها.

ـ سامحيني اذا أزعجتك يا عزيزتي، لكني لاحظت اثناء العشاء انك متعبة وجئت لأقترح عليك المساعدة.

لم تنتظر رداً. خطت خطوات متأنية. وتوقفت وسط الغرفة محدقة في عيني بيري.

ـ أنا أعلم انك تعانين...

خرجت الكلمات متتابعة كقذائف تخترق بيري، تنبئها بأن ما سيأتي هو اكثر مما أتى. هي تصارع في معترك العدو؟ قالت:

ـ أنا آسفة يا سيدة تالبوت، لكني لا أعرف ما تعنين.

ـ بل تعرفين يا عزيزتي. انا أعلم سرك الدفين. هل هذا يفاجئك؟ يجب ألا يغضبك كوني أعلم. فالأمر في غاية البساطة. من السهل قراءة عواطف الشباب وأحاسيسهم. منذ اللحظة التي دخلت فيها كورين، عواطفك واضحة وصريحة كاعلان في الراديو يصل الى آذان الجميع. أنت ساذجة. أليس

كذلك؟ تلتفين في رداء أوهامك.
لم تستطع التحكم في نظراتها المصدومة.
- في حياتي لم أر انساناً يكرهني كما تفعلين أنت يا سيدة تالبوت؟
- أنا! لا أحمل لك عاطفة اطلاقاً سواء سلباً او ايجاباً. وأرى ان من واجبي ان أحميك وأنقذك من تحطيم ذاتك، وأنقذك من الضيق. لم يبق لك سوى أيام وتغادرين كورين. لماذا تنغصين رحلة مفيدة وممتعة؟ لقد لاحظ الجميع تعاستك.
- أحقاً؟ وأشك في انك تتمنين تعاستي وتتمتعين بها. لعلك بدأت...
- بدأت ماذا؟
سألت لورنا تالبوت بحدة، ثم أضافت:
- لا تكوني مقرفة، وفظة. تبدين مخدوعة وتشعرين بحب كبير جارف، ولا أحد يلومك. لكن يجب ان تعلمي أنك تتمارسين لعبة انت فيها خاسرة. الرجال من هذا النوع، خاصة الذين يملكون جاذبية ما، يملأون فراغهم بالعاشقات. طبعاً، هذه تجربة تمر بها كل امرأة في مرحلة من حياتها. وأنا أتأسف لك. لكن كبرياءك هي سلاحك الأقوى. سيبدو لك ما سوف أقول تقليدياً، كزواج متعة. لكن كراي فولكنر وابنتي يليقان لبعضهما. لعلك لاحظت هذا او سمعته من خلال احاديثك مع بعض مساعديك او اصدقائك. كراي وكيم يتقاسمان الاهتمامات نفسها، الماضي نفسه، والمصالح

نفسها. يحمل احدهما للآخر احتراماً عميقاً وحباً قوياً. وما يحس به كراي نحوك لا يتعدى كونه انجذاباً لجمالك وجسدك. انجذاب من أحط مستوى. وبعض الرجال تستهويهم الشقراوات. انا آسفة يا عزيزتي اذا أحرجتك او جرحت كبرياءك.

ابتسمت لها بيري قائلة:

ـ لا، لم تصدميني يا سيدة تالبوت. أثرت قرفي. الحقيقة، ان هذا لا يخصك اطلاقاً ولا يدخل في اختصاصك، سواء أكان ما قلت صحيحاً أم لا. أنا لا أعتقد ان كراي سيتزوج من كيم ولو اني لا أنكر انهما يليقان لبعضهما. وقد يكون تفكيرك صائباً اذا أعفيت نفسك من هذا الحلم الأعمى.

ـ معنى هذا ان ابنتي ليست في مستواه. ستعرفين في يوم من الأيام كم أنت مخطئة. جمالك من النوع الذي لا يعجبني. وهناك في المدينة ستجدين عدداً من الشباب المتلهفين عليك، لأنك ببساطة لا تستطيعين الحياة هنا. صدقيني ايتها العزيزة، حديثنا هذا في الوقت المناسب. قد لا يعجبك الآن. لو انك تصرفت بشكل عادي لملكت عطفه. أنت لا تتصورين عدد الفتيات اللواتي خدعن به. ما أقوله هو في مصلحتك. لكن سنك لا تسمح لك بتفهم ما يريد رجل ككراي فولكنر من امرأة. النزاهة. زوجة. انا خبيرة في هذه الشؤون، ثم ان كراي يطلب رأيي ويحترمه ويثق به.

ـ لا أصدق.

خفت صوت لورنا تالبوت وقالت وكأن الأمر يعنيها هي:
ـ يا ابنتي، صدقيني، ان هدفي هو مساعدتك. لقد استغل الرجال النساء دائماً لأغراضهم الدنيئة. وكراي رجل من نوع خاص. ومن حسن الصدف انك التقيت به ونزلت ضيفة عليه في كورين، وهذا يكفي.
بدا الضيق على ملامح بيري، لم تعجبها هذه المحاورة.
ـ قلبك الطيب، وعطفك عليّ لهما هدف معين. لست أدري كيف سأقول انك تتهربين من الافصاح عن قصدك.
ـ فكرة رائعة. أحياناً يجب ان نقول ما نفكر فيه بصراحة قاسية. كراي فولكنر ليس لك. ابتعدي عنه. مستقبلك ضائع اذا تشبثت به. ستصدمين بشكل نهائي لا رجعة فيه. وستلقين الكثير من العذاب. لكن اذا عملت بنصيحتي ستنقذين نفسك من مضايقات كثيرة لا ضرورة لتفصيلها الآن.
قالت بيري هازئة:
ـ اذن دخلت اللعبة مبكراً قبل ان تنطلق.
ـ شيء آخر أذكرك به يا آنسة. لقد تحملتك كيم كثيراً. لو كنت في مكانها لما تحملت مثلها.
ـ ارجو ان تخرجي من غرفتي حالا يا سيدة تالبوت لأني لم أعد أجد كلاماً لائقاً للرد عليك وعلى الكلام اللطيف الذي قلته.
ـ هل انت بخير؟ أعتقد انك مرهقة.
ردت بيري مفتعلة الهدوء وهازئة من السيدة تالبوت:
ـ اذا خرجت الآن أعدك اني لن أقول كلمة واحدة. واغلقي

الباب وراءك والا استعملت بذاءتي في الرد عليك.

- يجب ان تشكريني لأني أود مساعدتك.

- أشكرك يا سيدة تالبوت. والآن، وجودك هنا أصبح غير مرغوب فيه. لن انساك أبداً، وأرى ان كيم محظوظة، فأنت أم حكيمة.

احتدت ملامح السيدة تالبوت:

- هل خفف عنك قليلاً ما قلت لك؟

- نعم، والآن ما احتاج اليه هو قليل من الندم.

- كنت أتمنى ان ينتهي الحديث بشكل آخر غير هذا. على اي حال، ليلة سعيدة يا عزيزتي، يجب ان تأخذي الدواء.

خطت بيري نحو الباب، فتحته وقالت:

- كل طموحاتك هي ان تكون ابنتك كما تتمنين لها. لا تحلمي بمجدها يا سيدة تالبوت.

حركت السيدة تالبوت يدها بعشوائية، وقالت وهي تحدق في بيري:

- قولي ما تشائين، أستطيع الآن ان أدرك شعورك. اذا لم تعملي بنصيحتي فأنت حرة في التمتع بنهايتك. أما أنا فلن أخسر شيئاً.

وخرجت، بينما صفقت بيري الباب وعادت لتستلقي على السرير. لقد نغص عليها الحوار لحظات هدوئها. قبل ان تسترسل في استعادة ما دار بينها وبين السيدة تالبوت سمعت طرقاً على الباب وقالت:

ـ ادخل.
كان مارك. سألها:
ـ حول ماذا كان الحديث؟ لقد رأيتها تغادر الغرفة.
ـ أوه، لا شيء كانت تريد ان تعرف ماذا أريد لفطوري في الصباح.
كذبت. رد مارك:
ـ ارى اني اذا طرحت عليك المزيد من الأسئلة سأزهق أنفاسك. الم تكن هنا لتتحدث معك في موضوع ما؟ أنا أعرف هذا النوع من النساء.
تفرس مارك في وجهها، حاولت بيري ان تبدو هادئة، عادية، قال مارك بصوت دافىء:
ـ سأقول لك شيئاً يا حبيبتي، لا استطيع ان انتظر مغادرتنا كورين. لقد قمنا بعمل رائع، وهذا سيدفع بشهرة الاستاذ الى مزيد من الانتشار. لكنك أنت غير سعيدة. تعشقين فولكنر حتى الجنون، وهذه العاطفة واضحة للعيان.
ـ هذا ما قالته السيدة تالبوت.
وانهمرت دموع بيري، فصرخ مارك وهو يجوب الغرفة بعصبية:
ـ سأقتله.
ـ يا لك من مراهق، لم تكبر بعد.
وقف والتفت اليها ثم قال:
ـ يجب ان يبدو الأمر كحادثة غريبة وقعت له. هذه الحوادث

تقع دائماً في كورين.

قالت بيري:

- تريد ان تعرف الحقيقة؟ انه لم يحاول اغرائي. لم يشجعني قط على حبه. كل ما أعرف هو ان الأمر وقع فجأة كسقطة تحت عجلات قطار تهشم العظام.

قال معاتباً:

- أين روحك المرحة يا بيري؟ عندما تعودي الى البيت ستعود اليك حيويتك حتماً، لكن المزعج في أمر فولكنر هو انه شخص خطير. جماله ونفوذه قذارة، والاشخاص مثله غالباً ما يربطهم مصيرهم بنساء بمثل قذارتهم، وذميمات، فاقدات لكل أنوثة.

لم يخفف قول مارك عن بيري شيئاً. ظلت حزينة وعيناها محتقنتان:

- يجب ان تقري بأن الفتاة تحمل الطبع الصافي المفقود لدينا كلنا. مكاننا ليس هنا.

تقدم نحوها خطوة، قال وملامحه تحمل بصمة ذكاء:

- استطيع ان اؤكد من جهتي ان كيم لم تحب أحداً قط. امها العزيزة تحيك مؤامرة ما لوحدها. انها من النوع الذي يحب ان يرى الآخرين يتألمون. حاولي ان تكوني قوية، فأنت تبدين حاملة لكل هموم الكرة الأرضية كعروس مهملة.

- طبعاً. لكن لا تقلق. سأكون في مستوى الموقف. ولن أسمح بامتياز لأحد هنا.

وجدت بيري نفسها تتمزق بين الدمع والسخرية. التفتت الى مارك وقالت له:
ـ لا حاجة لأن انغص عليك اقامتك هنا دقيقة أخرى. أنا الآن مرهقة. لن أدع الجنون يسيطر عليّ خلال هذه الرحلة. رأسي الآن يؤلمني.
اقترب من سريرها. ربت على كتفيها، وقال:
ـ اني أتقزز من سطحية تفكير هذه المرأة.
قالت بيري وقد خفف عنها وقوفه الى جانبها:
ـ عزيزي مارك. لا تلمها لأنها أرادت ابعادي عن طريق ابنتها. الله يعلم كم أتمنى ان أذهب من هنا.
ـ أعتقد ان هذا غير محتمل.
للحظة حدقا بعضهما في بعض دون كلمة، ثم تكلم مارك بحدة وعزم مبيناً لها انه مستعد لمساعدتها قدر الامكان.
ـ كلما استطعت مساعدتك فلن أبخل عليك بها. في الأيام الماضية كنت أستطيع ان أنزع معطفي لتمشي عليه، واذا اردت ان تجمعي حاجياتك سنسافر معاً في القطار المقبل.
ضحكت بيري طويلا والدموع تنهمر على خديها الناعمين. مكث مارك ينظر اليها نظرة حب وعطف.
ـ أنا سعيد برؤيتك ضاحكة من جديد. ليلة سعيدة وسأراك في الصباح. حاولي ان تفكري في ما يقوله أبي دائماً: التجارب المرة حتماً تفيد.
لكنها للأسف لم تفد. صرخت بيري لنفسها صامتة، ونامت

معانقة الحب والهجر في آن واحد.

كان الهدوء يسود المكتبة، وكان الاستاذ منحنياً على كومة من الأوراق والصور الملتقطة لأشكال السحر المرسومة على جدران الكهوف، متأملاً كل الوثائق امامه بجدية واستيعاب. عدد من هذه الوجوه هو للنساء اللواتي كن زوجات غير مخلصات، عوقبن برسم عدم اخلاصهن، وعذبهن الرسم فمرضن حتى الموت. أشكال أخرى لذكور كانوا عشاقاً فنالوا العقاب نفسه.

انهمكت بيري ايضا في نقل رموز الحب، شارحة كل رمز على حدة. كانت تعمل دون متعة البحث. دون رغبة. تفكر في كورين حيث ساد الحب. ورسوم الحبيبات على جدران الكهوف ونحتهن على الصخور موجود بشكل رهيب. اولى عبارات الحب استخدمها الرجال كما استعملتها النساء عبر كل القارة. لو ان لديها المقدرة على الرسم لفعلت. تنهدت بعمق وبدأت توقع ساهمة خطوطاً على ورق ابيض امامها.

رفع عمها بصره اليها قائلا:

- التنهيدة عميقة. لقد غبت عن العمل، ماذا حدث؟ اصبحت اكثر هزالا مما كنت. اخرجي لتأخذي هواء نقياً. استطيع ان استمر في العمل وحدي. أريد ان أرى هل استطيع ان اعثر على الغزوات الانتقامية القديمة عبر هذه الرسوم. لقد استنتج مارك ان تلك اللآلىء الاسطوانية تضيء جاذبية الموت. وأعطاني كراي عدداً من الأحجار المصبوغة. لقد كان رائعاً، أليس كذلك؟ لا أحد منا يدري كيف يشكره.

نهضت بيري متثاقلة كأنها تشكو من الدوار وقالت:
- انه يستحق وسام الشرف.
ابتسم الاستاذ وقال:
- لو كان في مقدوري لمنحته اياه.
وعاد يدقق النظر في قطعة نحاسية تحمل رسماً لرأس نسر وعدة أسلحة، وصاح:
- يوهو. هذا وحده يستطيع ان يكون موضوعاً لكتاب.
الرحلة نجحت، حققت ما كانت تصبو اليه. فكرت بيري وهي ترقب تفاعل عمها مع ما يتفحص. الاستاذ لوكاس ب. كرينوود وحلمه كورين. رسوم ووثائق وآثار. مادة رئيسية لبحث علمي لأحد اعلام علم الآثار. كان سعيداً جداً، غارقاً في عالمه. دارت ببصرها في الغرفة. كان هناك احساس بالاستمرار. عائلة واحدة استطاعت ان تجعل البيت جميلا، واسعاً، مضيافاً. لم تشعر بهذا من قبل. غريب.
ارتعدت شفتها السفلى وعضت عليها، داخلها يغلي، يكاد يقتلها الأسى. لو كانت في لحظة غير هذه لأنهمرت دموعها. كان انكسار القلب ينتظرها في نهاية الرحلة. التفت اليها الاستاذ:
- لقد قرأت بعض تقارير مارك وأهنىء نفسي لأني أخذته في هذه الرحلة. يحب مارك ان يعبر بأسلوب علمي بسيط ولا عيب في هذا، لكني سأنبهه الى ان الحماسة في التعبير هي اكثر اقناعاً.

ثم سأل بيري:
- هل انهيت تلك الاهازيج؟
- فقط اهزوجة واحدة.
- حسناً، ضعيها في الصندوق اذن.
ثم لاحظ شحوبها، ونظرتها الحزينة.
- انت شاحبة، لعل رأسك يؤلمك. اخرجي الى الزهور لتشمي رائحتها الزكية.
اطرقت برأسها قليلا:
- أنا آسفة يا عم. أعتقد اني أحلم، هل تفهم؟
- انت لا تحلمين أيتها العزيزة. اين هو مارك الآن؟ ثم اني لا أحب ان يتخلف فرد من فريقي عن الموعد. هذا دليل على غياب تنظيم الأفكار.
قال مارك وهو يفتح الباب ليدخل:
- شكراً لأستاذي على هذه الكلمة الطيبة.
التفت اليه الاستاذ:
- اعرف اخلاصك لعملك وعليك ان تكون فخوراً به.
- ارجوك يا أستاذ لا تكن متسامحاً اكثر من اللازم.
- ما زال لدينا من العمل ما يجب القيام به.
ثم توجه الى بيري:
- اذهبي الآن، فمارك هنا. ارتاحي هذا اليوم.
وافق مارك قائلا وقد نظر الى بيري:
- هذه فكرة حسنة، اذهبي الى الخارج، سترين عدداً من

المهر الجميلة التي ولدت حديثاً. هذا ما أخرني.

قاطعه الاستاذ:

- ماذا سأفعل مع هذا الثرثار؟

- أنت أناني يا أستاذ.

تدخلت بيري قائلة:

- سأخرج الآن.

قصدت الباب، ردته وراءها بلطف وهي تخرج. سمعت عمها يعاتب مارك فابتسمت. لا شك في ان الرجال اقوى من النساء، أقرت بهذا وهي تشعر بعدم قدرتها على فعل أي شيء. داعبها نسيم. فوضعت يدها على جبينها ومشت في الممر المزهر. تمنت لو امضت اليوم في الكهف المفضل لديها، حيث ابتدأ الزمن. لو تستطيع العثور عليه ثانية. ثم ذهبت الى غرفتها وغيرت ملابسها، وهامت في تفكيرها الصامت الحزين. تأملت تمثال بوذا، لامسته، ثم غادرت الغرفة.

في الفناء أثار انتباهها وجود لوحات تحمل صور آل فولكنر. جون كراي فولكنر الأول ينظر الى أسفل من قلب الصورة. رجل ممتلىء قوة وعزماً على تحقيق احلامه، الشبه بينه وبين كراي واضح. حدقت في الصورة وقاومت الرغبة في لمسها بيدها. مكثت امامها زمناً. فجأة برق شيء ما في عينيها. لم يحدث لها في حياتها شيء ككاري فولكنر، ربما بفعل الزمن تصبح الحكاية مجرد حلم يقظة انتهى.

- اعتقد ان هذه طريقة جميلة لقضاء الوقت.

كان الصوت آتياً من الخلف. التفتت اليه محدقة فيه، دون ان تقول كلمة.

- الا تردين؟

- لا أستطيع.

وحاولت ان تبتعد. أحست انه لم يتحرك من مكانه بينما انطلق صوته:

- أنا لا أراك الا قليلا يا بيري، فلماذا تذهبين الآن؟

عادت امواج من الاضطراب والارتباك والحيرة تتلاعب بها. عادت قوته تجردها من مقاومتها. كانت ملامحه ساحرة. أحست الآن اكثر من أي وقت مضى انها أحبته من أول نظرة، وانه قدرها، وهذا يقع في الحياة كما في الروايات.

اقترب نحوها وداعب ذقنها. قالت:

- أنا ذاهبة يا كراي.

كان الصوت يرتعش والخصلات الذهبية الجميلة تتساقط على وجهها.

- هل تخبرينني بذهابك ام تطلبين مني ان أدعك تذهبين؟

- أنت تعرف الجواب على سؤالك.

- هل اعرف حقاً؟ لا شيء في العالم أكثر غموضاً من عقل امرأة.

- معي أنا، اطمئن.

ضحك وقال:

ـ لا أشعر بالاطمئنان أبداً وأنا وحيد مع امرأة.
ـ ولم لا؟ لا يحدث لك شيء هنا، لا تخف.
أخذت نظرته بريقاً من نوع آخر:
ـ انت حمقاء!
واقترب منها. شيء بينهما تحرك. اضطرب، وكأنه يخاف ان تطير من بين يديه. حاولت ان تبعده عنها. دفعته بيديها. اخافتها عاطفتها اكثر من خوفها منه.
ـ لا يا حبيبتي، لا تهربي مني، لقد حان الوقت للاعتراف.
صوته الدافىء أعطاها الحياة. هو وحده، لا مثيل له ابداً. قوة خفية تدفعها لمواجهة كل العوائق. هي ملك له الآن. ملك لنظراته الزرقاء.
وضع يديه على كتفيها، حدق فيها، انتظرت ان يتكلم، لا تعلم بما يجب ان تحلم. اطلقت ضحكة قصيرة.
ـ انت تستجيبين لي يا بيري، تخاطبيني باللهجة نفسها، اقري بهذا ولو مرة في حياتك.
أحست بأنها في حاجة الى مزيد من الشجاعة لتجيب. لكنه حطم كل وسائل الدفاع لديها. قالت بمرارة وصوت لورنا يتردد في دماغها:
ـ انجذاب جسدي على أحط مستوى.
استعدت لرد عنيف. جذبها اليه وقال:
ـ انت محظوظة لأني لم أصفعك على ما قلت. انت اما حمقاء

او انك سلمت بأنك انخدعت.

- هذا كلام جيد.

قالت وشيء في ملامح وجهها يعذبها. ابعدها عنه وقذفها بنظرة باردة وقال بحدة:

- تمتعي بحريتك. تريدين كل شيء ولا تعطين شيئاً. وأنا أشكرك لأنك علمتني كيف أفكر.

وأطلق ضحكة جافة، وأضاف:

- هذا يؤلمك. لقد اكتشفت انك فتاة عصبية، لامبالية، انفعالية بالفطرة.

صرخت مستنكرة:

- كراي.

قال وكأنه يهددها:

- ردي، دافعي عن نفسك، سأصدق ما تقولين. براءتك لا تتحمل العيش بالنمط الذي أعيش عليه. لك الحق في ان تفعلي من حياتك ما تشائين، لكن حياتي أنا، لا.

أطرقت بيري نحو الأرض، قاومت دموعها، لم تستطع ان تتكلم ثانية، لقد جرحها في كبريائها من جديد؟ ركضت نازلة الدرج ثم خرجت من البيت. كانت في هذه اللحظة تتمنى الموت. هل ستنسى ما حدث الآن. هل من المستحيل سبر أغوار شخصه الغامض أم ان بلادتها أعمتها عن قراءة تصرفاته؟ شعرت بأنها مجردة من التجربة والحنكة، وبأنها شابة فعلا، بائسة، يائسة، وعليلة. من المؤكد ان الحب لا يستغرق

الحياة كلها. واذا كان سيظل حياً في قلبها طيلة حياتها، فلا شك ان لعنة ما صبت عليها. وان الدفء والسعادة سيظلان بعيدين عنها اينما ذهبت.

٨ ـ انه كراي فولكنر، الشخصية الفريدة، ذو الجاذبية المطلقة والنفوذ، يأخذ ويعطي، يعطف ويقسو. انه هو، الرجل الذي يحتضنها الآن!

تمتد التلال حتى الأفق. الأدغال والأراضي الخضراء تنتعش بغناء الطيور، تطرب لها بيري التي امتطت مهرتها الصغيرة ميري، وذهبت بمحاذاة الأخاديد الرملية الجميلة التي تحيط بالحوض الاسطوري. هذه الأشجار والأزهار وهذا الجو الصافي والحوض، هي رقصة متناغمة. قال لهم كراي ان لهذا الحوض علاقة ببطل اسطورة اكتشفها عمها.

في ارض خلاء واسعة في كل خطوة، اسطورة من زمن الحلم. حتى الآن، وبعد شهرين من معاشرة هذه الأرض، يصعب ان تتحرر من الطابع الاسطوري للمنطقة. كان عالماً ايجابياً يحيا فيه السحر مع الأطباء والكهنة حول النار المقدسة.

مشت بيري بمهرتها وسط الأشجار الى ان ادركت الأرض المعشوشبة. قبل ايام سقط هنا مطر طوفاني، وتفتحت الأزهار وأعطت بهجة للأرض. رأت صقراً يحلق فوق رأسها ويفرد جناحيه موقعاً ايقاعاً يتناسق مع ايقاع الريح. امامها شجرة يحكى عنها انها رمز للقوة. عادت الى ذهنها ذكرياتها القريبة في كورين. لن تغيب ابداً. دائماً معها. وفي وجدانها ستظل تمثل رسالة سلام وحرية من ارث كبير لشعب عريق حرم من اراضيه، لكن نسمته لا تزال على هذه الأرض.

في آخر السهل رأت عموداً من الدخان، قصدته لتعرف مصدره. من وسط دغل قفز حيوان، التفتت لتتأكد من هويته. هرب قبل ان تراه بتمعن. لم تلحظ منه سوى ذيله الريشي. قرب كهف شعرت بشيء غريب يغمرها. شيء كالحزن فأطلقت آهة. هبطت من التل وسارت خطوات وكأنها تقترب من قدر ما. ما غمرها قبل لحظة جعلها تسرع راجعة بحذر كبير. رن في رأسها جرس حين اقتربت من الجانب الآخر من التل. انها فوق تراب مقدس يشهد على بداية الزمن، ورأت هناك انكارتا.

اندفعت نحوه دون خوف. كانت تريد ان تحادثه ولم يكن هناك احد. رغم هزاله المخيف كان يبدو متشبثاً بالحياة. اندلق الريق من فمه وحرك ذراعاً سوداء نحوها، ثم تركها تسقط في ارتخاء.

ربما مات. لعلها اغضبت الأرواح التي تحرس المكان،

ركعت على ركبتيها الى جانب الحكيم العجوز وحدقت فيه مذعورة. من زاوية فمه انطلقت آهة ارتجفت لها. انه يحتضر. هذا لا شك فيه . عادت بسرعة الى المهرة. اخذت غطاء صوفياً وقنينة ماء وعادت لتضع الغطاء الصوفي تحت رأسه وقربت القنينة الى فمه. اندلق شيء من الماء في فمه، بدا لها آخذاً طريقه الى حلقومه، لكن قدراً كبيراً اندلق على ذقنه.

جلست الى جانبه ما يقرب من ساعة تراقب حياته المولية، متأكدة من ان انكارتا سيموت حتى لو جاءت الاغاثة الآن. فتح عينيه مرة أو مرتين، نظر اليها بعينين منهزمتين وتبددت النظرة بين الرموش العارية. لعلها تتصور موته، لكن الوجه الأسود بدا صامتاً، هادئاً، مفرغاً من كل تعبير. كانا انسانين، احدهما ابيض والآخر اسود يجمعهما اسى واحد. حمته من اشعة الشمس. فتح انكارتا عينيه ونظر اليها. تمتم بكلمات غير مفهومة وكان ينطق حكماً. لم تر في ما همس خطراً. سمعت وقع حوافر حصان تقترب. وقفت وقصدت حافة المرتفع. رأت كراي ينزل من على حصانه. داعب الريح شعره، رأته يصعد. قال ماداً يده اليها:

ـ لقد كدت اجن في البحث عنك اين كنت؟

اعطته يدها بدورها.

ـ كيف عثرت علي؟

ـ بالصدفة.

كان صوته منكسراً.

ـ اثار انتباهي عمود الدخان هناك، يمكنك ان تعتبري نفسك محظوظة لأني عثرت عليك. اتريدين ان تضيعي ولا اعلم ماذا يحدث على ارضي؟

ـ انكارتا هنا، انه يحتضر.

قست نظرته، وسألها:

ـ اكنت معه؟

ـ انه يحتضر يا كراي، رجل عجوز يحتضر.

حدق فيها من جديد، في نظرته بريق غريب، في داخله صراع استطاعت ان تكتشفه. وامتدت يده الى كتفها، سارا في محاذاة الصخر. نظرة واحدة الى الوجه المحتضر كانت كافية لأن يقول كراي:

ـ يا الهي.

ابتلع ريقه، وانحنى على ركبتيه، بهدوء حزين، الى قرب رجل كردايتشا العجوز. الأسى وحضور الموت كانا يغمران النظرة الغائبة للرجل.

ـ لا امل.

قال بصوت خافت. حاول انكارتا ان يحرك رأسه حين تعرف على الرجل الأبيض، ترنح قليلاً وعاد الى غيبوبته... كانت الساعة الواحدة.

بعد ساعة مات انكارتا. مات مستسلماً، لم يبد مقاومة. ساد الصمت، لا حركة، لا ورقة، لا طير. اغمض كراي عيني الرجل والتفت نحو بيري التي كانت منحنية على الرجل

ودموعها تنهمر على خديها.

قال كراي:

- لا داعي للبكاء. راح الرجل. انه الآن في السماء. في الحلم الأبدي. كن الأصليين يؤمنون بخلود الروح. الوجود على الأرض بالنسبة اليهم ليس الا عبوراً نحو الخلود. تعالي، سنذهب الى البيت، سيأتي شعب انكارتا اليه، هم يعرفون اين هو. عمود الدخان يهديهم اليه.

وقف. اوقفها. وسارا هابطين المنحدر نحو السهل. تحت ظل شجرة استلقت بيري، جلس الى جانبها. على مبعدة منهما وقفت مهرتها الى جانب حصان كراي الأسود وقد احنيا رأسيهما ليصغيا الى شدو الطيور الحزين.

- هل تظنين انك تستطيعين الحياة هنا دائماً؟

سألها دون ان يتخلى عن كبريائه المعهود. كانت عيناها تحملان من الأسى الشيء الكثير. ترددت قليلاً وقالت في صخب الصمت الحار:

- احبك، لا شيء يغير هذه العاطفة سواء صدر منك ام مني، حتى الألم لا يغيرها.

للصحراء لون غطى عينيه، لون حبس انفاسها. حاولت ان تقرأ النظرة واللون. ارتباكها كان اكبر من القراءة. انحنى اليها، وضع يده تحت رأسها واقترب. كان اقترابه نغمة حالمة.

ابتسم. في ابتسامته كان الحب، وكان التملك ايضاً. لم يشعر بمثل هذه الحيوية قط. قال وهو يتنشق عطر شعرها

الحريري:

ـ هناك كثير من الأشياء يجب ان اعرفها عنك، ولكني لا استطيع مقاومة هذا السحر.

ـ ماذا تريد يا كُراي؟

سألت آملة في رد صريح.

ـ انت.

قال بعزم واصرار:

ـ انت كل شيء في حياتي، انت ايام حياتي ولياليها.

احاطت رأسه بذراعيها وقالت:

ـ لن يكون ذلك سهلاً، فأنا يجب ان اتعلم الكثير. لقد ضعت وسط هذه الأراضي المفرطة في الكبر رغم اني احبها.

اشار الى نفسه:

ـ انا معك، نحن معاً نستطيع القيام بكل شيء.

كانت يداه على كتفيها، وتحت ضغطهما الساحر لم تدر كيف تكلمه عن لورنا تالبوت وابنتها. داعب خديها مبتسماً:

ـ ستحدث تغييرات في كورين، لأن طريقة الحياة فيها ايضاً يجب ان تتغير. الأيام تجري، وكل شيء يتغير، وأنت كزوجتي ستصبحين الأولى في كل شيء. فكرت في تدبير امر لورنا تالبوت.

ـ وكيم؟

ربت على خديها ، انه يعرفها اكثر مما تعرف نفسها:

ـ فهمت ما تعنين. لم اشعر قط بنوع من الميل الى كيم، وهي

تعرف هذا جيداً. هي شابة، فاتنة، ذكية، لها مستقبلها وعليها ان تؤمنه. هناك فقط جانب من القضية لا يمكن ان التخلي عنه. ارجوك دعي لي كل الصعوبات. لقد تعودت تذليلها: للورنا كبرياؤ ها وقد خضعت مدة طويلة لأحلامها كام. وسنجد حلاً لهذا كله. الحقيقة ان لا شيء يحلو لي بدونك. وسآخذ في الاعتبار كونك غريبة، وخائفة وشجاعة ايضاً.

التصقت نظرتها بنظرته، احاطها بذراعيه القويتين، حجب عنها الشمس.

انه كراي فولكنر. الرجل ذو الجاذبية المطلقة، والشخصية الفريدة، يأخذ، يعطي، يأمر، يعطف، يقسو. انه هو، هذا الرجل الذي يحتضنها الآن.

كانت السماء خالية من السحب والأرض حولها تمتد اميالاً كثيرة. ارض قديمة، ازلية، تخاطب بحب كل الذين يبادلونها الحب.

روائع الأدب الرومانسي

زوجة الهندى
السر الدفين
طال انتظاري
الوجه الآخر للذئب
برج الرياح
الماضي لايعود
لقاء الغرباء
وردة قنايين
عصفور فى اليد
الغيمة أصلها ماء
الهوى يقرع مرة
خيط الرماد
الصقر واليمامة
حتى تموت الشفاه
أصابع القمر
وعاد فى المساء
القرار الصعب
الفريسة
أريد سجنك
خطوات نحو اللهب
دمية وراء القضبان

عذراء فى المدينة
الامواج تحترق
العروس الاسيرة
رجل بلا قلب
سيدة القصر الجنوبى
شهر عسل مر
عيناك بصري
من أجل حفنة جنيهات
رجل من نار
نداء الدم
ليالي الفجر
ما أقصر الوقت
قلب فى المحيط
المجهول الجميل
الزواج الابيض
أقدام فى الوحل
قال الزهر آه
كيف أحيا معك
غضب العاشق
مزرعة الدموع
الواحة

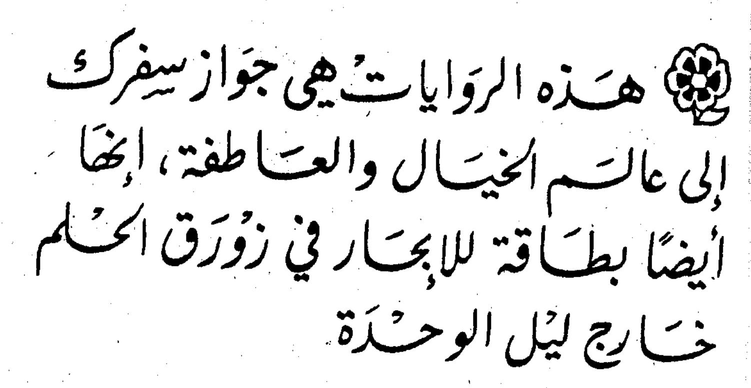
آخر الأحلام
هل تخطىء الانامل
البحر الى الأبد
الحصار الفضي
الشبيه
الكذبة
الندم
انت لي
جراح باردة
طائر بلا جناح
عاطفة من ورق
قطار فى الضباب
قل كلمة واحدة
مندلا
تعالى
السعادة فى قفص
هاربة
هذيان
أرياف العذاب
اللهب والفراشة
لا ترحلي

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولي لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطىء العناق
ذهبي الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الناس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساخر
جرح الغزالة
لمن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعاً وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي



هَذه الرّوايات هي جوَاز سفرك
إلى عالَم الخيَال والعَاطفة، إنّهَا
أيضًا بطَاقة للإبحَار في زوْرق الحلم
خَارج ليل الوحْدَة

تأخذك هَذه الرّوايات إلى حيث
تشعّ منَارة اللقَاء ويربح الحبّ كلّ جولة
مع السّعَادة

في روَايات عَبير أصَابع الحنان تغيّر
مجرَى الأيَام نحو ربيع المشاعر

إنّهَا دنيَا الحبّ، تجمّعَت في سطور...

مِنَ القَلبِ ... إلى القَلبِ

